

بلاغة الكناية في القرآن الكريم
الأجزاء الثلاثة الأولى من القرآن الكريم نموذجاً
د. ساجد عطا عبد الرحمن حسن *

(*) أستاذ مشارك بقسم أصول الدين - كلية الشريعة - جامعة آل البيت - المفرق - المملكة الأردنية الهاشمية

ملخص البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على بلاغة الكناية في القرآن الكريم، وإحكامها المعجز، إذ يُظهر القرآن دقة وإحكاماً لا يستطيع أحد أن يحاكيها، ناهيك عن أن يتفوق عليها. وقد كثرت الكنايات في النظم القرآني الكريم، فجاءت فيه الكناية عن الندم والتحسر، بالعض على اليدين، وتقليب الكفين في صور كثيرة^(١)، والكناية عن الكرب وشدة أهوال يوم القيامة،^(٢) والاستكبار والإعراض،^(٣) والكناية عما يُستَقْبَح ذكره، كالبول وقضاء الحاجة،^(٤) وعما يُستَحْيى التصريح به كالجماع،^(٥) إلى غير ذلك من الكنايات القرآنية.

(١) انظر الآيات في سور: الفرقان : ٢٧ . والكهف : ٤٢ .

(٢) انظر : سورة الحج : 1، 2 .

(٣) انظر الآيات في سور : المنافقون : 5 . والإسراء : 51 . ولقمان : 18 .

(٤) انظر : الألويسي : روح المعاني : ج 30 : 227 . وتفسير القرطبي : ج 5 : 143 .

(٥) انظر الزمخشري : تفسير الكشاف : ج 1 : ص 338 .

مقدمة

لا مرآء في أنّ البيان القرآني مُعجز، لم يخرج في تأدية مضامينه ، وتصوير معانيه عن نسق العربية ومذاهبها في التعبير ، إذ لا يجوز التحدي - كما قيل - بما هو خارج عن عُرف الخطاب . ومن ثمَّ كان عَجْزهم عن الإتيان بسورة واحدة من مثله ، هو آيةٌ إعجازه البلاغي لهم من جهة ، وكذب مفترياتهم حول القرآن ، وصدق نبوة من أنزل عليه - ﷺ - من جهة أخرى .

وصورة الكناية في القرآن الكريم هي إحدى تلك السنن التعبيرية التي سلكها بيأنهُ المحكم ، وكانت مناطاً إعجازه فيها . ومع أن لفظة الكناية لم تَرِد في القرآن الكريم ، مع كثرة وُروِد هذا الأسلوب البلاغي الجميل فيه ، الذي يُوَضِّح الصورة ، ويُنسِّق الأسلوب ، ويُبعده عن الابتذال والفُحش ، ففي اللغة معانٍ وألفاظ لا تستسيغها الأذواق ، وتنبو عنها الأسماع ، فجاءت الكناية في القرآن الكريم لتبرز جماله ، وإعجازه ، بصورها البليغة ، واستعمالاتها الدقيقة .

خطة البحث :

لما كان البحث متشعباً لا يتسع له بحث محدود الصفحات ، حددته بإبراز بعض صور الكناية في الأجزاء الثلاثة الأولى من القرآن الكريم أنموذجاً ، وجعلته في مقدمة ، وأربعة مباحث ، ضمنت بعض المباحث عدة مطالب ، وخاتمة ، على النحو التالي :

المبحث الأول : وضمنه المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف الكناية في اصطلاح اللغويين :

أ - الكناية في اللغة .

ب - الكناية في الاصطلاح .

المطلب الثاني - الفرق بين الكناية والمجاز .

المطلب الثالث :- مفهوم الكناية في اصطلاح البيانين .

المطلب الرابع : مفهوم الكناية في اصطلاح الأصوليين والفقهاء .. وبينت الفرق بين مفهوم الكناية عند البيانين والأصوليين ..

المطلب الخامس : مفهوم الكناية عند المفسرين .

المبحث الثاني : أقسام الكناية عند البيانين والمفسرين :

قسم بعض البيانين والمفسرين الكناية باعتبارين مختلفين ، أما الاعتبار الأول : فهو اعتبار المطلوب بالكناية ، وبهذا الاعتبار لها أربعة أقسام هي :

أ- الكناية عن الضمير .

ب- الكناية عن صفة .

ت - الكناية عن موصوف

ث - الكناية عن نسبة .

وأما باعتبار الوسائط فتنقسم الكناية إلى أربعة أقسام : وهي :

تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإشارة.

المبحث الثالث : ذكرت فيه بعض الكنايات الواردة في الأجزاء الثلاثة الأولى من القرآن ، وبينت دلالاتها ، ومقاصدها .

المبحث الرابع : ذكرت فيه الأغراض والخصائص البيانية لأسلوب الكناية في القرآن الكريم . إذ للكناية هدف تجميل الكلام وتحسينه ، وإظهاره في حُلَّةٍ جديدة دون إسفاف ، وليست للعدول عن الألفاظ المستقبحة فقط ، أو مجرد قصد التلاعب بالعبارات ، وإنما لمقتضى غاية أصيلة ، ثم كان الحسن والجمال ناتجاً عضوياً لها ، وإلا لو كانت الكناية لمجرد العبث دون غاية أفضت إليها مصلحة : لكانت مستقبحة ، فلها غاية وهي : صرف قُبْح القبيح ، وإظهار حُسْن الحَسَن .

الدراسات السابقة :

من خلال التتبع لما يتعلق بهذا الموضوع من مؤلفات ؛ لم أجد - حسب علمي - من كَتَبَ تحت هذا العنوان رسالة علمية ، ولا من خصَّه ببحث جامع لمسائله ، فتتبع ما يوجد من صور الكناية في الثلاثة الأجزاء الأولى من القرآن الكريم ، دون استقصاء ، وأما الدراسات المعاصرة فلم أقف فيها على ما يتصل بموضوع بحثي إلا على كتابات عامة عن الكناية في القرآن الكريم ، مثل :

- ١- أسلوب الكناية في القرآن الكريم - (رسالة ماجستير) بسام عبد الغفور عبد الرزاق القواسمي - كلية اللغة العربية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - 1984م .
- ٢- أسلوب الكناية في القرآن الكريم - حسناء محمد حسين فلمبان (رسالة ماجستير- ١٩٨٨م) مكة المكرمة .
- ٣- الكناية في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه - ١٩٩٥م) أحمد فتحي رمضان - كلية الآداب - جامعة الموصل .
- ٤- الكناية في القرآن الكريم: مواقعها وأسرارها - كلية اللغة العربية (رسالة دكتوراه - ١٩٩٦م) - جامعة الأزهر. وهناك أبحاث كثيرة غيرها حول موضوع الكناية ، وكلها إلى ذاك الجمال تشير ، إلا أنها كتابات متخصصة في ناحية معينة ، مثل بحث الدكتور : أحمد القرالة الموسوم ب: الكناية وقواعدها الفقهية . أو بحث الدكتورة : هند بنت جميل الموسوم ب: الكناية في كشاف الزمخشري . ولم أجد - حسب علمي - من كتب تحت العنوان الذي كتبت فيه ، رسالةً ، أو بحثاً علمياً مستقلاً ..

منهجي في البحث :

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي الذي يقوم على تتبع بعض صور الكناية في الأجزاء الثلاثة الأولى من القرآن الكريم ، ورصد ما فيها من كنايات .. مستعيناً بما سطره علماءنا من المفسرين والبلاغيين ، قُدماء ومُحدثين ، ولم أستقص الكنايات الواردة في هذه الأجزاء الثلاثة الأولى من القرآن الكريم ، إذ الاستقصاء بعيد المنال .

١- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها في كتاب الله ، وذكرت اسم السورة ورقم الآية .

٢- رجعت إلى أمّات المصادر المعتمدة في كتب التفسير ، وعلوم القرآن الكريم .

٣- فَسَّرْتُ بعض الكلمات الغريبة من مظانها .

٤- عزوت الأحاديث الشريفة الواردة في البحث إلى كتب الحديث المعتمدة ..

٥- نسبت الأقوال إلى قائلها ، وبينت مصادرها الأصلية .

٦- ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج ، ثم وضعت فهرسا للمراجع التي استعنت بها في إخراج هذا البحث على ما هو عليه .

وبعد : فمع علمي أن كثيراً من الباحثين قد سبقوني للحديث عن الكناية بوجه عام ، ووقفتُ على وجهاتِ نظرٍ بعضهم ، وأفدْتُ منها ، إلا أن رغبتني قويت في معاودة النظر في هذا الموضوع ، والكتابة فيه ، فكان هذا البحث ، لإلقاء الضوء على بلاغة الكناية في الأجزاء الثلاثة الأولى من القرآن ، وبيان بعض خصائصها وأغراضها البيانية .

وأقول بكل ثقة ويقين : لا يكاد يخلو قرنٌ من الزمان منذ نزول القرآن وإلى يومنا هذا ، من مصنفات قيمة دبّجتها أقلام أعلام المسلمين ، خدمة لكتاب الله تبارك وتعالى ، تنوعت وتشكلت على حسب الظروف ، والتخصصات ، والمقدرة العلمية لكل عالم ، فكشف لهم القرآن وهم يبحثون في علومه المختلفة ، ووجوه إعجازه ، وصوره البيانية ، عن بحارٍ ليس لها ساحل ، ووجدوا أنفسهم قد خاضوا في لُجج ليس لها قعر ، وكُلُّ عاد بلؤلؤة كريمة ، أو عقدٍ نظيم . وبقيت ثَمَّة خزائن تفوق الحصر ، ومفتاحها تدبُّره ، والنظر فيه . وكلّي أمل أن أكون قد وُفِّقْتُ في إعداد هذا البحث - خلال إجازتي للتفرغ العلمي - ، خدمةً للغة القرآن الكريم ، مع يقيني أنه لا يخلو من نقص ، ولا يسلم من هَنَاتٍ أرجو أن يَكُنَّ هَيِّنَاتٍ ... والله أسأل أن يجعل عملي هذا وغيره خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكتب لي أجره ، ولكل من بذل معي جهداً لإتمامه

، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

المبحث الأول

المطلب الأول : مفهوم الكناية في اصطلاح اللغويين.

أ- الكناية لغة :

تعد الكناية من أهم الفنون البلاغية في الأدب العربي على وجه الخصوص ، وذلك لما تؤديه من وظائف فنية وجمالية من خلال التعبير عن وجدان الإنسان ، وواقعه ، وبيئته ، وأعرافه وتقاليده . والكناية فن من فنون البيان ، وطريق من طرق التصوير ، به يستطيع الأديب أن يصور المعنى المجرد ، تصويراً يدركه المتلقي عن طريق الحواس والوجدان ، فيتترك في نفسه تأثيراً عظيماً .

وتدور المادة المعجمية للكناية (ك - ن - ن) حول معنى الستر والإخفاء ، يقال كنىت الشيء إذا سترته، وكنتى عن الشيء إذا أخفاه ولم يصرح به، وبهذا المعنى وردت في قوله تعالى : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ (البقرة: 235)) إذا سترتم طلبكم وأضمرتموه في قلوبكم ، فلم تذكروه بألسنتكم ، لا مصرحين ولا معرضين^(١). قال الجوهري : (ت ٣٩٨هـ) : والكِنْيَةُ والكِنْيَةُ أيضاً واحدة الكُنْيِ ، واكتنى فلان بكذا ، والكناية : أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وكنتى عن الأمر بغيره يُكني كناية ، يعني : إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه ، نحو : الرفث ، والغائط ، ونحوه .^(٢)

ويقول ابن منظور : (ت 711هـ) (الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره)^(٣) وهي مأخوذة من الستر والتغطية ، يقال : كنىت الشيء إذا سترته ، وسُميت بهذا الاسم : لأنها تستر معنى ، وتظهر غيره .^(٤) ومنه الكِنْيَةُ ، وذلك أن فيها سترًا للاسم ، وإظهاراً

(١) انظر : حسن المصطفوي : التحقيق في كلمات القرآن الكريم : المجلد العاشر : ص ١٢٢

(٢) انظر : الرازي ، مختار الصحاح : ص 581 .

(٣) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : باب الباء ، فصل الكاف . مجلد 12 : ص 174

(٤) انظر : العلوي ، الطراز : ج ١ : ص ٣٦٦ .

لشيء آخر وهي الكنية^(١) وقد ورد مصطلح الكنية والكنى في الشعر الجاهلي ، في بيت من قصيدة للشاعر الجاهلي : « عبید بن الأبرص قالها » للنعمان بن المنذر : « هي الخمرُ بالهزلِ تُكنَى الطلأ كما الذئبُ يُكنَى أبا جعدة^(٢) ولم ترد لفظة الكناية أو الكنية في القرآن الكريم - كما أسلفنا - ، مع كثرة ورود هذا الأسلوب البلاغي الجميل فيه ، الذي يوضح الصورة ، ويُنسق الأسلوب ، ويُبعده عن الابتذال والفحش ، ففي اللغة معانٍ وألفاظ لا تستسيغها الأذواق ، وتنبو عنها الأسماع ، فجاءت الكناية في القرآن الكريم لتبرز جماله وإعجازه ، بصورها البليغة ، واستعمالاتها الدقيقة .

ب - الكناية في الاصطلاح : وَضَعَ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) للكناية حَدًّا اصطلاحياً ، وُبعداً بيانياً ، تبعه عليه من لحقه ، واقتفى أثره فيه من أتى بعده ، قائلاً : (المراد بالكناية ههنا: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه) .^(٣) ويدلل عبد القاهر على صحة هذا الرأي ، من خلال الأمثلة التي ساقها ، مثال ذلك قولهم : (هو طويل النجاد) يريدون : طويل القامة ، (وكثير رَماد القدر) يعنون : كثرة القرى . وفي المرأة : (نؤوم الضحى) ، والمراد أنها مُترَفَةٌ مخدومة ، لها من يكفيها أمرها ، فقد أرادوا في هذا كله - كما ترى - معنىً ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر ، من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان .

أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ؟ وإذا كُثِرَ القرى ، كثر رَماد القدر ، وإذا كانت المرأة مُترَفَةٌ لها من يكفيها أمرها ، رَدِفَ ذلك أن تنام إلى الضحى^(٤) . وحديث عبد القاهر الجرجاني عن المعنى الذي يردف المعنى المذكور ، يشير إلى ما ذكره قدامة

(١) انظر : الطوفي : الإكسير في علم التفسير : ص 118 .

(٢) انظر : ديوان عبید بن الأبرص : ص : 62 .

(٣) انظر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ٦٦

(٤) انظر الجرجاني : دلائل الإعجاز : 66

ابن جعفر (ت 337هـ)⁽¹⁾ عن الكناية ، التي لم يتحدث عنها من خلال هذا المصطلح ، بل ذكرها في أنواع ائتلاف اللفظ بالمعنى ، وأطلق عليها اسم (الإرداف) ، وعرفه بقوله : (هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني ، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع بمنزلة قول عمر بن أبي ربيعة ⁽²⁾ :

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا ، وَإِمَّا عَيْدُ شَمْسٍ فَهَاشِمٌ .
 فإنما أراد الشاعر أن يصف هذه المرأة بطول العنق ، فلو عبر عن ذلك باللفظ الموضوع له لقال : طويلة العنق ، فعدل عن ذلك ، وأتى بلفظ يدل عليه ، وليس هو الموضوع له ، فقال : بعيدة مهوى القُرط .. فَدَلَّ بِبُعْدِ مَهْوَى قُرْطِهَا عَلَى طُولِ جِيدِهَا ، وفي ذلك من المبالغة ما ليس في قوله : طويلة العنق .. لأن بُعْدَ مَهْوَى الْقُرْطِ يدل على طول أكثر من الطول الذي يدل عليه - طويلة العنق - ، لأن كل بعيدة مهوى القُرط طويلة العنق ، وليست كل طويلة العنق بعيدة مهوى القُرط ، إذا كان الطول في عنقها يسيراً ⁽³⁾ . وهذا التعريف لا يميز الكناية من المجاز ، إذ ميز البلاغيون بينهما ، وقالوا : إن الكناية يجوز فيها إرادة المعنيين : (الحقيقي ، ولازمه المجازي) . ومن ثَمَّ عَرَفَهَا المتأخرون منهم بأنها : (لفظ أُطلق وأريد به لازم معناه ، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي)⁽⁴⁾ .

المطلب الثاني : الفرق بين الكناية والمجاز

هناك فرق بين الكناية والمجاز ، وهذا الفرق يظهر من وجهين :

أحدهما : أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها ، فلا يمتنع في قولك فلان طويل النجاد ؛ أن تريد طول نجاهه مع إرادة طول قامته . والمجاز ينافي ذلك ، فلا يصح في نحو «رعينا الغيث ” أن تريد معنى الغيث ، وفي نحو قولك : «في

(١) انظر : قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، 157-158

(٢) انظر البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة : ص 182 .

(٣) انظر : ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص : 221 .

(٤) انظر : القزويني ، الإيضاح : ٢ : ٢٥٢ .

الحمّام أسد» أن تريد معنى الأسد من غير تأويل .

والثاني : أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ؛ ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم^(١) .

أما عن علاقة المجاز بالكناية ؛ فقد ذهب العلماء في ذلك إلى أربعة مذاهب:

أحدها : يرى بعضهم أن الكناية حقيقة ؛ لأن اللفظ مستعمل فيما وُضِعَ له ، وإن كان المراد به الدلالة على غير المعنى الموضوع له ، فكثرة الرماد قد استعملت في المعنى الموضوع لها ، وإن كان المراد بها الكرم ؛ وهذاهو الوجه الفارق بين المجاز والكناية . وممن يرى أن الكناية حقيقة : **الفخر الرازي** ، الذي عقد مبحثاً في أن الكناية ليست من المجاز^(٢) . ولذلك أيضاً ذهب **العزّ بن عبد السلام** في كتابه : الإشارة إلى الإيجاز^(٣) .

وثانيها : أنها مجاز ؛ لأن المراد ليس هو المعنى الموضوع له ، وإن كان قد استعمل في المعنى الموضوع له ، فكأنه تجاوز عن المعنى الموضوع له إلى مالم يوضع له . وبعضُ من البيانين يرى أن الكناية مجاز ، بل ركن من أركانه : **العلوي**^(٤) ، الذي اعتمد على المعنى المراد من الكناية ، فهو ليس المعنى الأصلي لللفظ ، وإلا لما كان هناك داعٍ للكناية ، وطالما كان المقصود ليس هو المعنى الأصلي ، فيجب القول - إذن - بمجازيتها ، لأن حقيقة المجاز عنده ، ما دل على معنى خلاف ما دل عليه بأصل وضعه ، كما أنها تساوي الاستعارة في الدلالة ، ولما كانت الاستعارة نوعاً من أنواع المجاز ، فكذلك تكون الكناية نوعاً من أنواع المجاز^(٥) . وهؤلاء لا يشترطون في قرينة المجاز أن تكون مانعةً من إرادة المعنى الحقيقي .

(١) انظر : السكاكي ، مفتاح العلوم : ١ : ١٧٦ .

(٢) الرازي : نهاية الإيجاز : 272 .

(٣) العز بن عبد السلام : الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : 85 .

(٤) العلوي : الطراز ، 1 : 246 .

(٥) محمد الحسن علي الأمين ، الكناية في أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي : 87 . وانظر العلوي : الطراز

376:1

وثالثها: أن الكناية واسطة بين الحقيقة والمجاز، أي: لا حقيقة ولا مجاز، فهي ليست حقيقة؛ لعدم استعمالها في المعنى الأصلي، وليست مجازاً؛ لأن قرينتها غير مانعة من إرادة المعنى الأول. وممن يرون ذلك: القزويني، والسكاكي. (١)

ورابعها: أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز معاً؛ فإن استعملت اللفظ في معناه مراداً منه لازم المعنى فهو حقيقة، وإن لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز، لا استعماله في غير ما وضع له. (٢)

وممن ذهب إلى ذلك: **ابن الأثير**؛ حيث يرى أن الأسلوب الكنائي يتجاوزه جانبان هما:

- جانب الحقيقة: وهو الدلالة القريبة المباشرة.
- وجانب المجاز: وهو الدلالة البعيدة غير المباشرة.

يقول ابن الأثير مُعرِّفاً الكناية بأنها: (كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصفٍ جامعٍ بين الحقيقة والمجاز)^(٣) فالفرق بينها وبين المجاز هو في نوع القرينة؛ لأن القرينة في المجاز تمنع من إرادة المعنى الأصلي، على حين لا تمنع القرينة هذا المعنى الأصلي في الكناية، فلو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 19) وهو مجاز مرسل علاقته الكلية، لوجدنا أن المعنى الحقيقي تمتنع إرادته، إذ لا يمكن تحققه، لاستحالة وضع كل الأصابع في الأذن، ومن ثم حمل لفظ (الأصابع) على دلالة مجازية، وأصبح المقصود بها الأنامل.

أما الكناية: فإنها تختلف عن المجاز، في أن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المجازي فيها، إذ لا مانع عقلاً ولا عادةً من أن يريد المتكلم بالأسلوب

(١) القزويني: الإيضاح: 2: 319. وإلى ذلك ذهب السكاكي، انظر: مفتاح العلوم، ص 403.

(٢) انظر: السيوطي، الاتقان: ١: ١١١-١١٢.

(٣) ابن الأثير: المثل السائر: 2: 182.

الكنائى معنييه معاً، ففي قول امرئ القيس :

وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ... نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ (1)

فقد تحدث امرؤ القيس عن النعمة والرّفاه التي تعيش فيهما هذه المرأة، وأنها نشأت في أحضان الغنى ، فالرائحة الطيبة تلازم فراشها، ولديها من يقوم بالخدمة عنها، ولذلك فهي تنام الضحى، على غير ما جرت عليه عادة نساء العرب من السعي في طلب الرزق وقت البكور. ولكنه لم يعبر عن ذلك بالألفاظ الدالة عليها دلالة مباشرة، ولجأ إلى معنى آخر (نؤوم الضحى) ، من شأنه أن يستلزم المعنى السابق، فالقرينة تدل عليه، ولكن هذه القرينة لا تمنع في الوقت نفسه أن يراد حقيقة ؛ فهي مع ترفها ونعيمها تنام كثيراً في وقت الضحى ، أو يتأخر وقت نومها إلى هذا الوقت.

وفي هذا يقول السكاكي: (الفرق بين المجاز والكناية: أن الكناية لا تتنافى وإرادة الحقيقة بلفظها، فلا يمتنع في قولك: (فلان طويل النجاد) أن تريد طول نجاهه من غير ارتكاب تأول.. والمجاز ينافي ذلك، فلا يصح في نحو: (رعينا الغيث) أن تريد معنى الغيث، وفي نحو قولك: (في الحمام أسد) (أن تريد معناه من غير تأويل)⁽²⁾ أي: إن إرادة المعنى الأصلي للفظ مع إرادة المعنى الآخر الذي يُكنى باللفظ عنه جائزة، ولكنها غير لازمة دائماً، فقد يرادان معاً، وقد تُهمل إرادة المعنى الأصلي، ويراد المعنى الآخر فقط، فقد يقال: فلان كثير الرماد، أي: مضياف جواد، مع أنه لا يطبخ الطعام لضيوفه الكثيرين بنار الحطب الذي يُخَلَّف رماداً، إنما يطبخ لهم بالأفران الغازية أو الكهربائية. وبهذا يظهر الفرق بين الكناية والمجاز، فالمجاز لا يصح معه إرادة المعنى الحقيقي للفظ، بل يتعين فيه إرادة المعنى المجازي فقط، مثل: في الحمام أسد، فلفظ الأسد هنا مجاز عن رجل شجاع، ولا يصح أن يراد به معناه الحقيقي، وهو الحيوان المفترس المعروف. والكناية - على الأرجح - تجمع بين الحقيقة والمجاز؛ لأن لفظ الكناية لم يُرد منه معناه الموضوع له مباشرة، فيكون حقيقة، ولم تمتنع إرادته مع

(١) انظر: ديوان امرئ القيس، ص 99، صنعه حسن السندوبي.

(٢) السكاكي: مفتاح العلوم: ١٧٠.

إرادة المعنى الكنائي، فيكون مجازاً. لذلك يقال: إن الكناية لها جانباً حقيقياً ومجازاً، وأن قرينة الكناية غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وقرينة المجاز مانعة. فالكناية على هذا ليست حقيقة خالصة، وليست مجازاً خالصاً.^(١)

المطلب الثالث: مفهوم الكناية في اصطلاح البيانين

اختلفت أقوال البيانين حول تحديد مفهوم الكناية، ومعظمهم يحوم حول تعريف واحد هو: (أن الكناية لفظ أُريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى الحقيقي مع لازمه)^(٢) فقولهم: « لفظ » يشمل الحقيقة والمجاز والكناية، وخرج عنه ما ليس بلفظ، كالإشارة باليد، وهز الرأس ونحو ذلك.

وقولهم: « أُريد به » خرج به اللفظ الذي يراد به نفس معناه، وهو المعنى الأول. والمراد « باللزم » مطلق الارتباط لا اللزوم العقلي، وهو عدم الانفكاك.

وقولهم: « مع جواز إرادة ذلك المعنى الحقيقي مع لازمه » خرج المجاز، لأن المجاز لا بُدَّ له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، ولكن الكناية؛ قرينتها مجوزة لإرادة المعنى الحقيقي مع لازمه.. كقولك: فلان طويل النجاد.. كناية عن طول القامة، فلا مانع من أن يكون طويل النجاد طويل القامة، وقد يقال: إنه طويل النجاد لغرض الكناية فقط، إذالم يكن له نجاد أصلاً.^(٣)

المطلب الرابع: مفهوم الكناية في اصطلاح الأصوليين والفقهاء:

لم يتوسع الأصوليون والفقهاء في ذكر مباحث الكناية، ولم يختلفوا في تعريفها، إذ اعتبروها من موضوعات علم البلاغة والبيان. ونصَّ على ذلك ابن النجار الحنبلي حيث قال: (والبحت فيها من وظيفة علماء المعاني والبيان.)^(٤) وممن تعرض لها أصوليو الحنفية^(٥)، وقلة من غيرهم. ومن تعرض لها من الفقهاء، ذكرها في

(١) انظر: د. عبد العظيم المطعني، مقال: الكناية. موقع الخليل للدراسات اللغوية والأدبية. ود. عبد الرحمن حبنكة: البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها. 2: 136.

(٢) انظر: القزويني: الإيضاح: 3: 318.

(٣) انظر: أسلوب الكناية في القرآن الكريم، بسام عبد الغفور القواسمي: ص 65 - 66.

(٤) ابن النجار، محمد بن أحمد، شرح الكوكب المنير، 1: 199.

(٥) انظر: التفاتاني، التلويح على التوضيح، ج ١: ص ٧٢.

كتب القواعد ، أو الأشباه والنظائر^(١) ، أو أثناء الحديث عن مباحث الحقيقة والمجاز .
يقول ابن عابدين في تعريف الكناية عند الفقهاء : (فمعناها عندهم مطلقاً كالأصوليين
: ما استتر المراد منه في نفسه)^(٢) .

وقد عرف البزدوي الكناية بأنها : (ما استتر المراد منه بالاستعمال ، أو اللفظ
المحتمل)^(٣) .

وعرفها السرخسي بقوله : (ما يكون المراد به مستوراً ، إلى أن يتبين بالدليل)^(٤)
والمراد بالاستتار هنا : هو الاستتار بحسب الاستعمال ، أي أن الكلمة لقلّة استعمالها
وتداولها بين الناس ، أصبح المعنى فيها خفياً ، لا يمكن الوقوف عليه إلا بغيره ، وهذا
القيّد يخرج به الصريح ، إذ إن المعنى فيه بيّن لا استتار فيه .^(٥)

وهكذا كل تعريفات الفقهاء والأصوليين تصب في معنى واحد . وقد ناقش ضياء
الدين ابن الأثير ما ذهب إليه الأصوليون في الكناية من (أنها اللفظ المحتمل)^(٦) . فهو
عنده لا يعبر عن الكناية بدقة ، ومن ثم يحكم بخطئه ؛ فليس كل لفظ يدل على المعنى
وعلى خلافه كناية . وبيان ذلك - كما يراه - ، أن قول النبي - ﷺ - : (إذا لم تستح
فاصنع ما شئت)^(٧) ، على الرغم من احتمال لفظه لمعنيين :

الأول: أنك إذا لم يكن لك وازع يزعك عن الحياء ، فافعل ما شئت .

والثاني: أنك إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه ، فافعل ما شئت ، فإن هذا ليس من الكناية
في شيء . ويرى أن الأصوليين عندما عرفوا الكناية بأنها اللفظ المحتمل ، كانوا في

(١) انظر: السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ص ٢٩٣ .

(٢) انظر: ابن عابدين ، رد المحتار ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .

(٣) انظر: علي بن محمد بن الحسين البزدوي ، أصول البزدوي ، مطبوع مع شرحه للبخاري ، علاء الدين
بن عبد العزيز ، كشف الأسرار ، 1: 167 .

(٤) انظر: السرخسي : أصول السرخسي ، 1: 187 .

(٥) انظر: د. أحمد ياسين القرالة ، الكناية وقواعدها الفقهية ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مجلد ١٩ ،
عدد ٦ ، ص ٧٨ ، ٢٠٠٦ م .

(٦) انظر: علاء الدين بن عبد العزيز البخاري ، كشف الأسرار : ١ : ٦٧ .

(٧) أخرجه البخاري : ينظر: فتح الباري : ج ١٠ : ٥٢٣ .

تعريفهم هذا كمن يريد أن يعرف الإنسان ، فَعَرَّفَ الكائن الحي ، (فعبر بالأعم عن الأخص ، فإنه يقال : كل إنسان حيوان ، وليس كل حيوان إنساناً . وكذلك يقال ههنا : فإن الكناية لفظ محتمل ، وليس كلُّ لفظٍ محتملٍ كنايةً)^(١) . وبهذا نرى أن ابن الأثير يحاول أن يُخضع التعريف الأصولي للكناية ، لتعريف الكناية الاصطلاحي عند علماء البلاغة .

الكناية بين البيانين والأصوليين :

الكناية عند بعض البيانين تباين الحقيقة والمجاز ، وعند أكثرهم أنها حقيقة أريد بها لازمها . بينما عند الأصوليين قد تكون حقيقة ، وقد تكون مجازاً كما في تعريف (جمع الجوامع)^(٢) .

والكناية عند علماء البيان يجب أن تقابل المجاز ، وعند علماء الأصول لا تقابل المجاز ولا تعارضه ، بل يمكن أن تتحد معه ، وبهذا تكون الكناية الأصولية أعم من الكناية البيانية ؛ لأنها تشمل الحقيقة والمجاز .^(٣)

والتعريف الأصولي لا يعتد بالمعنى الكنائي إلا إذا صحبه الدليل ؛ والنية على إرادة ذلك المعنى ، ولا يشترط هذا في المعنى البلاغي .

والغرض المنوط بأسلوب الكناية عند البيانين خاص بالتفنن بالقول ، وزخرفة النظم ، وتأکید المعنى ، ولأغراض أخرى . بينما الغرض منه عند الأصوليين هو شرعي ، لتحديد أنواع الأحكام ، وما يترتب على ذلك من فرض العقوبات ، وفرض الخصومات .

كما أن الكناية عند الفقهاء والأصوليين قد تكون لفظاً ، أو فعلاً ، أو كتابةً ، أو إشارةً ، يفهم المقصود منها كل واقف عليها^(٤) . في حين أنها عند البيانين لا تكون إلا لفظاً

(١) انظر : ابن الأثير ، المثل السائر : ٣ : ٥١ .

(٢) انظر : حاشية البناني على الجمع ١ / ٢٣٣ .

(٣) انظر : شاکر الحنبلي : أصول الفقه : ١٧٨ .

(٤) انظر : السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ص ٣١٢ .

. كما أن الكناية عند البيانين لا خفاء فيها ، لوجود التلازم بين المعنيين الحقيقي والمجازي ، أما عند الفقهاء والأصوليين : فالكلام الذي لا يكون مفهوماً ، ويحتمل أكثر من معنى ، يسمى كناية .^(١) .. وإضافة إلى ما تقدم ، يمكنني القول : بأن المعنى الذي تلتقي التعريفات السابقة فيه للكناية هو : عدم التصريح بالمعنى المراد ، وستره وراء لفظ آخر يكشف النقاب عنه ، إما بالقرينة ، وإما بالمقام ودلالة الحال .^(٢)

المطلب الخامس : مفهوم الكناية عند المفسرين

أدرك المفسرون الدلالة الاصطلاحية للكناية ، ونلاحظ ذلك عند محمد بن جرير الطبري في تفسيره للكثير من الآيات القرآنية ذات الدلالة الكنائية ، كما في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ رُضِيَ فِيهَا الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ١٩٧)

إذ قال : (والرفث في كلام العرب : أصله الإفحاش في المنطق ، ثم تستعمله في الكناية عن الجماع).^(٣) وقد حدد الزمخشري مصطلح الكناية بقوله : (أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، كقولك : طويل النجاد والحمائل لطول القامة ، وكثير الرماد للمضياف).^(٤) كما حدد الفائدة منها في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤) إذ قال : (فوضع (فَاتَّقُوا النَّارَ) موضعه ، لأن اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد من حيث أنه من نتائجه ، لأن من اتقى النار ترك المعاندة ، وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة ، وفائدته : الإيجاز الذي هو من حلية القرآن ، وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه ، وإيرازه في صورته مشيعاً ذلك بتهويل صفة

(١) انظر : السرخسي ، أصول السرخسي : 1: 188.

(٢) انظر : بسام عبد الغفور : أسلوب الكناية في القرآن الكريم : ص 68-59.

(٣) جامع البيان ، للطبري : 2: 322. وانظر : د. أمل حسين ، ظواهر البيان العربي عند المفسرين ، ص 241.

(٤) الكشف ، للزمخشري : 1: 311.

النار، وتفضيع أمرها).^(١) وتلك التفاتة بلاغية سجلها الزمخشري في تحديد الغرض من الكناية في سياق النص القرآني، فضلاً عن ذلك؛ فإنه يكشف عن دورها في فصاحة الكلام. وأخلص مما سبق؛ إلى أن المفسرين قد أدركوا الدلالة الاصطلاحية للكناية، فضلاً عن أن بعضهم كان مُنظراً لاصطلاحها عند متأخري البلاغيين، وأيضاً حللوا الصور الكنائية في النص القرآني، كاشفين عن دلالاتها تارة، وعن حُسْنها تارة أخرى، وصولاً إلى استظهار البلاغة القرآنية.

المبحث الثاني : أقسام الكناية عند البيانين والمفسرين

من البيانين : من لم يقسم الكناية بأي اعتبار، وكان حديثه عنها عاماً، وقسمها المبرد تقسيماً لم يكتب له الذيوع والانتشار، ويوجد تقسيم لابن الأثير ظلَّ محصوراً عليه، ولم يشتهر إلا تقسيم السكاكي ومن نسج على منواله، فقسموها باعتبارين مختلفين :

أما الاعتبار الأول : فهو اعتبار المطلوب بالكناية، فبهذا الاعتبار لها أربعة أقسام^(٢)، هي : الكناية عن الضمير، الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة.

أ - الكناية عن الضمير :

وهي : أول مفهوم أدركه المفسرون والبلاغيون الأوائل، إذ ذكره سيبويه (١٨٠ هـ) وكرره الفراء (٢٠٧ هـ)^(٣) لذلك نجد المفسرين قد اتخذوا من هذا المفهوم وسيلة لكشف دلالة السياق القرآني، وتحديد الوجهة المعنوية المرادة منه، كما في تفسير الطبري (٣١٠ هـ) لقوله تعالى : ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي عَفْوََةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٧)، إذ قال : (ففي هي التي في قوله (فإذا هي ..) وجهان : أحدهما : أن

(١) الزمخشري : الكشاف، 1 : 132.

(٢) وبعضهم جعلها ثلاثة .. فلم يذكر الكناية عن الضمير . انظر : السكاكي : مفتاح العلوم : ص ٤٠٤ .

(٣) انظر : سيبويه : الكتاب : 2 : 415 . ومعاني القرآن ، للفراء : 3 : 227 .

تكون كناية عن الأبصار ، وتكون الأبصار الظاهرة بياناً عنها...^(١) وقد تقع الكناية للظرف، واسم الإشارة ، كما في تفسير الطبري لقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ (البقرة : 68) إذ قال : (قوله : (بَيْنَ ذَلِكَ) كناية عن الفارض والبكر..)^(٢) لقد حدد المفسرون والبلاغيون صوراً متنوعة للكناية عن الضمير، بحسب السياق القرآني الذي وردت فيه .

ب - الكناية عن صفة :

كأن تقول : كناية عن طول القامة : فلان طويل النجاد وفيها يُذكر الموصوف ، وتنسب له صفة غير مرادة بعينها ، وإنما المراد لازمها^(٣) والمراد بالصفة : الصفة المعنوية، كالجود، والكرم ، والإياء ، والشجاعة، وأمثال ذلك، لا النعت المعبر عنه بالصفة في اصطلاح النحويين^(٤)، ومن ذلك قوله تعالى : (إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ ...) (آل عمران: ١٥٣). فالنص الكريم تضمن كنایتين هي : قوله (إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ) وقوله (وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ ...) .

فالكناية الأولى : تعبر عن حركة حسية تمثلت في الإصعاد واللِّي ، فيقال : صعد في الجبل وأصعد في الأرض^(٥)

وهذه الكناية تصور الانفعال النفسي القوي ، والخوف والذعر الذي ظهر على سلوك المسلمين المقاتلين ، الذي كان من جرائه ارتدادهم وإدبارهم من أرض المعركة.

(١) الطبري : جامع البيان: 17: 109 – 110 .

(٢) الطبري : جامع البيان : ١ : ٣٩٤ .

(٣) انظر : د. محمد أبي موسى ، التصوير البياني ، ص ٣٧٦ – ٣٨٤ .

(٤) انظر : مواهب الفتاح، ضمن كتاب شروح التلخيص : 4 : 247 .

(٥) قال الزمخشري : والإصعاد : الذهاب في الأرض والإبعاد فيه . يقال : صعد في الجبل وأصعد في الأرض .

انظر : الزمخشري : الكشاف ١ : ٤٧١ .

أما الكناية الثانية : (وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ ...) فهي في دلالتها تبين ثبات الرسول ﷺ وشجاعته في هذا الموقف الحرج ، وهو الثبات على المبدأ ، وقوة الاندفاع والحماس الذي ظهرت على شخصيته، ولنرى أن صورة الكنايتين من خلال التضاد في المعنى بين صورة المسلمين الفارين ، وصورة الرسول الكريم ﷺ وهي الثبات والشجاعة (١) ، قد أعطت للنص الكريم سمة أسلوبية جمالية ، جعلت المخاطب يتذوق دلالة التصوير وإبداع التعبير . وفي الصورتين : فهي كناية عن صفة .

لقد تنبه المفسرون والبلاغيون إلى هذا القسم من أقسام الكناية ، وتناولوه ضمن سياق النص القرآني ، برؤية بلاغية لتصوير بلاغة النص القرآني ، والكشف عن إعجازه .

ت - الكناية عن موصوف :

كأن تقول : (جاء المضيف) وتريد زيدا ؛ لاختصاص المضيف بزید ، أو لاشتهار زيد بين قومه بالمضيف ، لكثرة صدور الضيافة منه ، فالمقصود من لفظ المضيف : الموصوف نفسه ، وهو زيد . وفيها تذكر الصفة والنسبة ، ولا يذكر الموصوف ، بل يُتوصل إليه بالصفة المذكورة ؛ لأنها من خصائصه . (٢) كقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف : ١٨) إن الذي ينشأ في الحلية هي : البنت .. لأن أهلها يجمّلونها بالحلية ، وأنواع الزينة منذ نشأتها . أي : وجعلوا لله البنات ، وهن اللاتي يُربين في الزينة ، ولا يقدرن على الإبانة حين الخصام والجدال . وكقول الشاعر المصري حافظ إبراهيم :

وَبِنَاةِ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحَدِّيِ (٣)

فقد كنى الشاعر عن (المصريين القدماء) بقوله : (بناة الأهرام) ، فهو لم يصرح

(١) انظر: بسام عبد الغفور : أسلوب الكناية في القرآن الكريم : ١٨٦ .

(٢) انظر : مختصر السعد ، ضمن شروح التلخيص : ج 4 ، ص 248 .

(٣) انظر : ديوان حافظ إبراهيم : ج 2 : ص 89 .

بالمصريين القدماء ، وإنما ذكر صفةً ملازمة لهم ، وهي أنهم من بنوا الأهرام .

ومن صور الكناية عن موصوف : تفسير الفخر الرازي لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩١) ، إذ قال : (.. في قوله ﴿ مَا خَلَقْتَ هَذَا ﴾ كناية عن المخلوق ، يعني : ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا ..) (١)

د - الكناية عن نسبة :

وهي إثبات الصفة لغير الموصوف أو نفيها عن غيره ، مع أن المراد إثباتها له أو نفيها عنه ، لا عن طريق إثبات الصفة تصريحاً بل عن طريق الكناية (٢) . وقد أشار الجرجاني إلى هذا القسم ضمن عرضه لتقسيمات الكناية (٣) .

وأدرك المفسرون هذا القسم - دون أن يصطلحوا عليه - ، ونلمح ذلك في تفسيرهم لقوله تعالى : (أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة : ٦٠) . وإثبات الشرارة لمكانهم ، ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم . فقد صرحوا أن إثبات الشرارة لمكان الشيء ، كناية عن إثباتها لهم (٤) .

وللتمييز بين هذه الأقسام : فإن الكناية عن موصوف : تمتاز بذكر الصفة في عبارتها . والكناية عن الصفة : تمتاز بذكر الموصوف ملفوظاً أو ملحوظاً في السياق . والكناية عن نسبة : تمتاز بتخصيص ما يلزم الموصوف بالصفة (٥) .

(١) انظر: الفخر الرازي مفاتيح الغيب : 9: 138 .

(٢) انظر: عروس الأفراح للسبكي ، ضمن شروح التلخيص ، ج ٤ : ص ٢٥٨ .

(٣) انظر: الجرجاني : دلائل الإعجاز : 236-242 . إلا أن المتأخرين كالسكاكي والقزويني هم الذين حددوا هذه المعالم بالتسمية والتدقيق .

(٤) انظر: الألويسي ، روح المعاني : ج 6 : ص 177 .

(٥) انظر: السكاكي ، مفاتيح العلوم ، ص ٢١٤ فما بعدها .

وأما باعتبار الوسائط فتتقسم الكناية إلى أربعة أقسام:

وهي : تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإشارة.

أما التعريض فهو : أن تتكلم بكلام ويكون لذلك الكلام معنى صريح ، ولكن مراد المتكلم يكون شيئاً آخر يدل عليه السياق ، كقول النبي ﷺ «:المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (١) فمعنى هذا الكلام عام لكل مسلم ، ولكن إذا تكلمت بهذا الحديث فى حضور من يؤذى المسلمين ، ففيه تعريض بذلك المؤذى ، فمراده أن من شأن المسلم أن لا يؤذى مسلماً آخر ، وأنت تؤذى المسلمين ، فأنت لست مسلماً.

وأما التلويح : فهو أن يكون بين الكناية والمكنى عنه وسائط كثيرة، كما فى قولك : فلان كثير الرماد ؛ والمراد به جوده وكرمه ، فهنا وسائط كثيرة ؛ وهى: أن كثرة الرماد تدل على كثرة النيران، وكثرة النيران تدل على كثرة الطبخ ، وكثرة الطبخ تدل على كثرة الضيوف ، أى أنه مضياف ، وهى صفة تدل على الكرم.

وأما الرمز : فهو أن لاتكون بين الكناية والمكنى عنه وسائط ، أو كانت موجودة ولكنها خفية ولاتعريض فيها ، كما فى قولك : فلان عريض القفا، إذا كُنيت عن بلاهته (٢)

وأما الإشارة : فهى إذا كانت بين الكناية والمكنى عنه وسائط قليلة ؛ ويكون اللزوم بينهما واضحاً ، ولا يكون فيه التعريض. قال الخطيب القزوينى: قال السكاكي الكناية تتفاوت إلى تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء وإشارة . فإن كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضاً، وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة، ولفظه كما فى صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو. رضى الله عنهما. عن النبي ﷺ قال :المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه. انظر : صحيح البخاري (كتاب الإيمان) باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(٢) الثعالبي، الكناية والتعريض ، تحقيق : د. عائشة حسين فريد . انظر : مقدمة التحقيق : ص ٢٧

مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثرة الرماد وأشباهه ؛ فالمناسب أن تسمى تلويحاً، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزاً ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية، وإلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة^(١)

وخلاصة القول: إن المفسرين والبلاغيين قد أدركوا أقسام الكناية، وقد اصطلحوا على بعضها، وأسسوا للبعض الآخر، بما يسهم في إبراز بلاغة النص القرآني، وبيان أسرار إعجازه. (٢)

المبحث الثالث : بعض الكنايات الواردة في الأجزاء الثلاثة الأولى من القرآن الكريم.. وبيان دلالاتها، ومقاصدها .

وردت الكناية في القرآن الكريم لأغراض عدة ، أبرزها : التآدب في الخطاب ، والابتعاد عما يَفْحُشُ ذكره ، وهذا أدب قرآني فريد يضاف إلى آدابه الكثيرة ، والغرض منه تهذيب نفوس الناس بتعليمهم هذا الأسلوب البلاغي ، وانتقاء الألفاظ للتعبير عن (اللفظ القبيح المُستهجن ، أو الذي لا ترتاح الأذن إلى سماعه ، بالجميل المؤلف الذي تتفتح له الأذن ، وتُنصت إليه ، وتنشرح له الصدور ، وتقبل عليه .) (٣) وقد عبّرت الكناية في الأجزاء الثلاثة الأولى من القرآن الكريم عن عدة معان ، ومواضيع بألوان متنوعة ، أبرزت جمال القرآن الكريم، وإعجازه ، بصورها البليغة الواضحة ، واستعمالاتها الدقيقة المتسقة ، ومنها :

١ - قول الله عز وجل في عدة مواطن من القرآن الكريم مبيناً صفة المنافقين ومن على شاكلتهم : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ۖ ﴾ (البقرة : ١٠٠)^(٤) وحمل مرض القلب على جانب

(١) - انظر : القزويني : الإيضاح : ج ١ : ص ٣٠٩ .

(٢) - هناك تداخل بين هذه الأقسام ، فقد قرر السبكي : أن كل كناية عن وصف يمكن اعتبارها كناية عن صفة . انظر : عروس الأفراح ضمن كتاب شروح التلخيص ، ٤ : ٢٦١ .

(٣) - انظر : الثعالبي : الكناية والتعريض : ص 46 .

(٤) - من الآية 10 في سورة البقرة . و 52 من سورة المائدة . و 49 من الأنفال . و 125 من التوبة . و 53 من الحج . و 50 من النور . و 12 ، و 60 من الأحزاب . و 20 من سورة محمد . و 31 من المدثر .

الكناية أولى من الظاهر ، لأن الله سبحانه يقصد بذلك المعنى المستور وراء صريح اللفظ ، والمقصود بمرضى القلوب : المنافقين وأمثالهم الذين طفحت قلوبهم بالحقد والبغضاء على محمد رسول الله ﷺ وأتباعه رضوان الله عليهم أجمعين، وبذلك يكون مرض القلوب - هنا - معنوياً ، وهو يؤكد المعنى الكنائى ويقويه . وسبب إسناد المرض إلى القلب دون غيره من الجوارح والأعضاء ؛ لأن القلب مصدر كل صلاح وفساد ، فهو المحرك الفعال لأعمال الإنسان ، إذ يوعز إلى العقل وبقية الأعضاء بالتصرف حسب ما يختار من أفعال ، والدليل على ذلك قول المصطفى ﷺ : (إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (١) ، وعد الزمخشري وأبو السعود مرض القلب - هنا - من قبيل الاستعارة ، إذ استعير المرض لما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والجهل ، والحسد ، والجبن ، والضعف ، وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى إلى الهلاك الروحي ، ولا مانع من اجتماع الكناية والاستعارة في هذه الآيات . (٢)

٢ - ومن الكناية عن الضمير : قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة : ١٦) .

فاسم الإشارة (أولئك) كناية عن المنافقين المذكورين من أول قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٨) ، وما فيه من معنى البعد : فلإشارة إلى بعد منزلتهم في الشر ، وسوء الحال . وقوله : ﴿ فَمَا رَبِحَت بِحَدْرَتِهِمْ ﴾ كناية عن الخسران بنفي الربح ، لأن عدم الربح يستلزم إثبات الخسارة ، فنفي أحدهما يستلزم إثبات الآخر ، على أنه قامت القرينة - هنا - على الخسران بقوله : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ . قال الألويسي : (وكنى في مقام الذم بنفي الربح عن الخسران ، لأن فوت الربح يستلزمه في الجملة ، ولا أقل من قدر ما يصرف من

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب من استبرأ لدينه ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري : 1 : 126 .

(٢) انظر : الزمخشري : تفسير الكشاف : 1 : 176 ، وبسام عبد الغفور : أسلوب الكناية في القرآن الكريم ،

القوة، وفائدة الكناية : التصريح بانتفاء مقصد التجارة مع حصول ضده ، بخلاف ما لو قيل خسرت تجارتهم ، فلا يتوهم إن نفي أحد الضدين إنما يوجب إثبات الآخر إذا لم يكن بينهما واسطة وهي موجودة هنا، فإن التاجر قد لا يربح ولا يخسر، وقيل : إن ذلك إنما يكون إذا كان المحل قابلاً للكل كما في التجارة الحقيقية ، أما إذا كان لا يقبل إلا اثنين منها، فنفي أحدهما يكون إثباتاً للآخر، والربح والخسران في الدين لا واسطة بينهما، على أنه قد قامت القرينة - هنا - على الخسران لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ معطوف على قوله ﴿فَمَا رَجَحَتْ بِجَحْرِهُمْ﴾، وهي كناية عن إضاعة رأس المال ، وقد جعله غير واحد كناية عن إضاعة رأس المال ، فإن من لم يهتد بطرق التجارة تكثر الآفات على أمواله، واختير طريق الكناية كناية لهم بتجهيلهم وتسفيهم^(١)

وقال ابن عاشور: (ومعنى نفي الاهتداء كناية عن إضاعة القصد ، أي إنهم أضاعوا ما سعوا له ، ولم يعرفوا ما يوصل لخير الآخر ، ولا ما يضر المسلمين. وهذا نداء عليهم بسفه الرأي والخرق ، وهو يجري مجرى العلة لعدم ربح التجارة، فشبه سوء تصرفهم حتى في كفرهم ، بسوء تصرف من يريد الربح، فيقع في الخسران ، فقوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ يصح أن يؤخذ منها كناية عن الخسران وإضاعة كل شيء ، لأن من لم يكن مهتدياً أضاع الربح ، وأضاع رأس المال بسوء سلوكه).^(٢) . وباستخدام أسلوب الكناية نلاحظ الإيجاز في هذا السياق ، إذ عبر عن جميع هذه المعاني بقوله : ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فقد خسروا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

٣ - ومن الكناية عن موصوف قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِتُونَ﴾ (البقرة: ٤١) لقد أراد الله سبحانه الخير لهؤلاء القوم ، فلم يعبر عن ذلك صراحة ، وإنما اختار

(١) الألويسي : روح المعاني : ج 1: ص 162 .

(٢) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، ج 1: ص 301 .

أسلوب الكناية ، وقد أدت الكناية في هذا السياق معناها في اتجاهين : توبيخهم على تأخرهم في اتباع الإسلام من جهة ، ودعوتهم ليكونوا أول المؤمنين من جهة أخرى^(١) والتعبير بالكناية - هنا - أبلغ من التعبير الصريح ، كقوله : آمنوا ..

وليس المقصود بالنهي الأول أن يباح لهم أن يكونوا ثاني الكافرين أو ثالثهم ، أو أي ترتيب آخر ، ولكن المقصود به أن لا يكفروا ، وفيه تعريض بمن يسارعون إلى الكفر ليكونوا أول الكافرين .. وليس المقصود في الثاني أنه يباح لهم أن يشترتوا بآيات الله ثمناً كثيراً ، وإنما المقصود ألا يشترتوا بآيات الله أي ثمن ، قليلاً كان أو كثيراً^(٢)

وفيه تنبيه على أن كل ثمن لا بد أن يكون قليلاً بجانب آيات الله تعالى ، وفيه أيضاً تعريض بمن يسارع بشراء الثمن القليل بآيات الله تعالى ..

قال ابن عاشور : (والمقصود من النهي : توبيخهم على تأخرهم في اتباع دعوة الإسلام ، فيكون هذا المركب قد كنى به عن معنيين من ملزوماته ، هما : معنى المبادرة إلى الإسلام ، ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي ، فيكون معنى النهي مراداً ، ولازمه وهو الأمر بالمبادرة بالإيمان مراداً ، وهو المقصود ، فيكون الكلام كناية اجتمع فيها الملزوم واللازم معاً ، فباعتبار اللازم يكون النهي في معنى الأمر ، فيتأكد به الأمر الذي قبله ، كأنه قيل : « وآمنوا بما أنزلت » « وكونوا أول المؤمنين » ، وباعتبار الملزوم يكون نهياً عن الكفر ، بعد الأمر بالإيمان .)^(٣)

٤ - ومن الكناية عن موصوف : قوله تعالى في وصف بني إسرائيل : ﴿...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ٦١)

(١) انظر : عبير فايز مسعد : مستويات الخطاب البلاغي في سورة البقرة : ص 119 .

(٢) انظر : المرتضى : أمالي المرتضى ، ج ١ : ٢٣١ . وقال أبو حيان : (والنهي عن أن يكونوا أول كافر به ، لا يدل ذلك على إباحة الكفر لهم ثانياً أو آخراً ، فمفهوم الصفة هنا غير مرادة) انظر : تفسير البحر المحيط ج ١ : ص ١٧٧ وانظر الزركشي : البرهان في علوم القرآن : ج ٢ : ص ٣٧٩ .

(٣) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير : ج ١ : ص ٤٦٠ .

قال الأكويسي : وقوله : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي : جعل ذلك محيطاً بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه، أو ألصق بهم من ضرب الطين على الحائط ففي الكلام استعارة بالكناية ؛ حيث شبه ذلك بالقبة أو بالطين، و (ضربت) استعارة تبعية حقيقية لمعنى الإحاطة والشمول أو اللزوم واللصوق بهم، وعلى الوجهين فالكلام كناية عن كونهم أذلاء متصاغرين وهذا الضرب مجازاة لهم على كفران تلك النعمة، وبهذا ارتبطت الآية بما قبلها، وإنما أورد ضمير الغائب للإشارة إلى أن ذلك راجع إلى جميع اليهود، وشامل للمخاطبين ^(١) . وقد صرح فيه بالوصوف وهم بنو إسرائيل العائد عليهم الضمير في قوله (عليهم) وصرح فيه بالصفة ، وهي الذلة والمسكنة ، ولكنه لم يصرح بنسبتها إليهم ، وإنما جعلها مضروبة عليهم ، كما تضرب الخيمة على صاحبها ، أي محيطة بهم ، فينتقل الذهن من إحاطتها بهم إلى كونهم أذلاء صاغرين . والكناية في إثباتها لهم أبلغ من التصريح بالإثبات ، لأن من جعلها محيطة بهم يلزم منه وصفهم بالذلة والمسكنة ، ويضيف إليه أنهم لن يستطيعوا التخلص من هذا الوصف ، والتفقت منه ، فهم منه في سجن مضروب عليهم ، وقيد يلازمهم .

٥ - ومن الكناية عن نسبة : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُؤْخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧) . أي : ألتجئ إلى الله وأبرأ إليه من أن أكون من السفهاء الذين يروون عنه الكذب والباطل، وفي هذا الجواب تبرؤ وتنزه عن الهزاء، وهو المزاح الذي يخالطه احتقار، واستخفاف بالمزاح معه ؛ لأنه لا يليق بعقلاء الناس فضلاً عن رسل الله - عليهم السلام - ، كما أن فيه - أيضاً - رداً لهم عن طريق التعريض بهم ، إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق؛ حيث بين لهم أن ما ظنوه به ، لا يليق إلا بمن يجهل عظمة الله - تعالى - . **فالغرض من الكناية** : نفي الجهالة والاستهزاء عن نفسه ، وإثباتها لهم بطريق الكناية ، وتنزيهه - عليه السلام - مما لا يليق بالرسل ، فهو لم يهتمهم بالجهل صراحة ، وإنما لجأ للتعبير عن ذلك بنفي الجهالة عن نفسه ، وإثباتها

(١) الأكويسي : روح المعاني ، ١ : ٣٧٧ .

لهم باستخدام أسلوب الكناية .^(١) قال ابن عاشور : وقول موسى : (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) تبرؤً وتنزه عن الهزء ؛ لأنه لا يليق بالعقلاء الأفاضل ، فإنه أخص من المرح ، لأن في الهزء مزحاً مع استخفاف ، واحتقاراً للممزوح معه ، على أن المرح لا يليق في الجامع العامة ، ولا يليق بمقام الرسول ، ولذا تبرأ منه موسى ، بأنه نفى أن يكون من الجاهلين ، كناية عن نفى المرح بنفي ملزومه ، وبالغ في التنزه بقوله (أعوذ بالله) ، أي منه ، لأن العياذ بالله أبلغ كلمات النفي ، فإن المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالى ﷻ^(٢)

٦ - ومن الكناية عن الضمير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لُونُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرُ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَيْفَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ (البقرة : ٦٨-٧١) قوله تعالى : (أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) و (مَا لُونُهَا) وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ ﴾

و ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ ﴾ و ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ منصرف إلى ما أمروا بذبحه من قبل ، وهذه الكنايات تدل على أن المأمور به ما كان ذبح بقرة أي بقرة كانت ، بل كان المأمور به ذبح بقرة معينة .

فإن قيل : أما الكنايات فلا نسلم عودها إلى البقرة ، فلم لا يجوز أن يقال : إنها كنايات عن القصة والشأن ، وهذه طريقة مشهورة عند العرب ؟ قلنا : هذا باطل لوجوه : أحدها : أن هذه الكنايات لو كانت عائدة إلى القصة والشأن لبقني ما بعد هذه الكنايات غير مفيد ؛ لأنه لا فائدة في قوله : (بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ) بل لا بد من إضمار شيء آخر ، وذلك خلاف

(١) انظر : د. محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط : مجلد ١ : ص ٢١٠ .

(٢) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير : ج ١ : ص ٥٤٨ .

الأصل ، أما إذا جعلنا الكنايات عائدة إلى المأمور به أولاً ، لم يلزم هذا المحذور .

وثانيها: إن الحكم برجوع الكناية إلى القصة والشأن خلاف الأصل ؛ لأن الكناية يجب عودها إلى شيء جرى ذكره ، والقصة والشأن لم يجر ذكرهما ، فلا يجوز عود الكناية إليهما ، لكننا خالفنا هذا الدليل للضرورة في بعض المواضع ، فبقي ما عداه على الأصل^(١) . ولم تقتصر الكناية عند المفسرين على الضمير فحسب ، بل إن هناك كناية عن اسم الإشارة ، وعن الظرف ، كما في تفسير الطبري^(٢) .

٧ - ومن الكناية عن نسبة : قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة : ١٢٠) وقوله : ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ : كناية أدت في الآية غرضاً بلاغياً وهو : الإيجاز ، وتعبر عن تحدي الكفار للرسول ﷺ ، وتؤكد استحالة اتباع اليهود والنصارى للدين الإسلامي ، وذلك يتضمن التيسيس للرسول ﷺ من اتباعهم دينه . قال الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي : (ومعنى الغاية في قوله : ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ : الكناية عن اليأس من اتباع أهل الكتاب لشريعة الإسلام ، لأنهم لما كانوا لا يرضون إلا باتباعه ﷺ ملتهم ، وكان اتباع النبي ﷺ ملتهم مستحيلاً ، فقد صار رضاهم عنه كذلك مستحيلاً ، فالجملة الكريمة مبالغة في الإقنات من إسلامهم ، وتنبيه على أنه لا يرضيهم إلا ما لا يجوز وقوعه منه)^(٣)

وقال ابن عاشور : (ومعنى الغاية في ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ الكناية عن اليأس من اتباع اليهود والنصارى لشريعة الإسلام يومئذ ؛ لأنهم إذا كانوا لا يرضون إلا باتباعه ملتهم ، فهم لا يتبعون ملته ، ولما كان اتباع النبي ﷺ مستحيلاً ، كان رضاهم عنه كذلك)^(٤)

٨ - ومن الكناية عن صفة : قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ٣ : ١١٥-١١٦ .

(٢) انظر : الطبري : جامع البيان ، ١ : ٣٧٧ . و ١ : ٣٩٤ .

(٣) د . محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط : مجلد ١ : ص ٣٣٦ .

(٤) - ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير : ج 1 : ص 693 .

لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ... ﴿البقرة: ١٤٣﴾.

قال الشيخ أحمد الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين : وقوله سبحانه : ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ : ليس على حقيقته ، لأن الانقلاب على العقب معناه : الرجوع لـخلف ، وليس مراداً ، بل هو كناية عن الرجوع للكفر. ^(١) فرسمت الكناية صورة لهذا الانقلاب على العقبين ، أي الرجوع عما كان يعتقد الإنسان .

٩ - ومن لطيف الكناية عن موصوف : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ - مِمَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة : ١٧٤) . قوله سبحانه : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ، كناية عن شدة غضبه عليهم ، وإعراضه عنهم ، وتكمن بلاغة الكناية في هذه الآية وفي هذا السياق : أن فيها دلالة على عظم الجرم الذي أقدم عليه هؤلاء الذين كتموا ما أنزل الله ، فلما كان جرمهم عظيماً ، استحقوا هذا الجزاء العظيم . وأي عذاب أشد من إعراض الله عنهم ، وتركه مخاطبتهم ، والحديث معهم في ذلك اليوم العصيب ، الذي هم أحوج ما يكونون إلى رحمته ولطفه . كما أن في هذه الكناية إشارة إلى انحطاط قدرهم ومنزلتهم ، فلا كرامة لهم ولا شأن ، فهم والعدم سواء ، جزاء ما اقترفوه ، وأقدموا عليه . وقد جاءت الكناية مشيرة إلى هذه المعاني كلها ، ودالة عليها ، ومن هنا تتجلى بلاغة الكناية وأثرها في هذا المقام ، من خلال ذكر موقف من يكتم القرآن أو يحرفه ، ويذكر جزائه ، وما أعد الله له من العذاب والنكال في الآخرة .

قال الطاهر بن عاشور: (وقوله : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ نفي للكلام ، والمراد به لازم معناه ، وهو الكناية عن الغضب ، فالمراد نفي كلام التكريم.) ^(٢) .

وفي تقديم الجار والمجرور (لَهُمْ) على (عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، دلالة على اختصاص هؤلاء بهذا

(١) حاشية الشيخ أحمد الصاوي على تفسير الجلالين ، ج ١ / ص ١٢٠ طبع المطبعة الأزهرية بمصر ، ١٩٦٦ م .

(٢) انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، ج ٢ : ١٤٢ .

العذاب، واستحقاقهم إياه. وفي تنكير لفظة (عَذَابٌ) ، دلالة على فضاة هذا العذاب وشدته ، وأنه لا طاقة لهم به ، ولا بتحمل الصبر عليه . وفي تعظيم العذاب : دلالة على عظم جرمهم ، وشناعة صنيعهم . كما أن فيه دلالة من طرفٍ خَفِيٍّ على عَظَمِ القرآن ، وعلُو منزلته ، وجلالة قدره ، فالجزاء من جنس العمل . ووصفه بقوله (أَلِيمٌ) : للدلالة على أنه عذاب موجه ، متمكن منهم ، يشعرون بشدته ووجعه في كل موضع من جسدهم . (١)

وفي قوله : ﴿ مَا يَأْكُؤْنَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ عدة لطائف بلاغية ، ونكات بيانية ، منها :

عَبَّرَ - سبحانه - عن انتفاع أولئك الأقوام بما يأتيهم من المال الحرام بالأكل ، لكون الأكل من أعظم المنافع التي تُصَرَفُ فيه الأموال . ومعلوم أن الأكل لا يكون إلا في البطن ، فذُكِرَتِ البطون هنا لرفع توهم المجاز ، إذ يقال : أكل فلان ماله إذا ضيعه وأهدره ، وإن لم يأكله .

ففي ذكر البطون إذاً : إشارة إلى حقيقة معنى الأكل ، وفي ذلك دَلَمٌ وتنقيص لهم إذ باعوا آخرتهم بما يملأ بطونهم ، وفي ذلك دلالة على شدة شَرِّهِمْ . وجعل - سبحانه - هذا المأكول ناراً ، وهذا التعبير مجاز مرسل علاقته المسببية ، فقد أطلق المُسَبَّبُ وأريد به السبب . أي : إن الذي يأكلونه يعذبون به ، أي : بسببه ، فكأنهم إنما يأكلون النار ، وذلك أنه هو الذي أفضى بهم إلى النار . (٢)

والثمن القليل : هو عرض الدنيا من الأموال التي كانوا يأخذونها مقابل كتمانهم لما أنزل الله من البينات والهدى . وليس المقصود أنه يباح لهم أن يشتروا بآيات الله ثمناً كثيراً ، وإنما المقصود : ألا يشتروا بآيات الله أي ثمن ، قليلاً كان أو كثيراً . وفيه تنبيه

(١) انظر : جامع البيان : ٢ : ٩٠ . والفخر الرازي : التفسير الكبير : ٥ : ٢٧ . وابن عطية : المحرر الوجيز : ١ : ٢٤١ . ود . عبد العزيز بن صالح العمار : التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن ، ص : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) انظر : أبأحيان : البحر المحيط ، ١ : ٦٧٧ . وابن عطية : المحرر الوجيز : ١ : ٢٤١ . وابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ١ : ٢٢٠ .

على أن كل ثمن لا بد أن يكون قليلاً بجانب آيات الله. وفيه أيضاً تعريض بمن يسارع بشراء الثمن القليل بآيات الله وفي تنكير لفظة (ثمناً): دلالة على حقارته ومهانته. ووصف بالقلّة: إما لأنه حقير في ذاته، أو أنه قليل لانقضائه ونفاده. وفي الإشارة إليهم باسم الإشارة للبعيد: دلالة على بعدهم عن رحمة الله^(١).

يقول البيضاوي: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ عبارة عن غضبه عليهم، وتعريض بحرمانهم حال مقابلتهم في الكرامة والزلفى من الله).

ويقول ابن التمجيد في حاشيته على تفسير البيضاوي: (قوله: عبارة عن غضبه: فيكون كناية عن الغضب، لأن نفي الكلام لازم الغضب عرفاً. وقوله: وتعريض بحرمانهم: أي بحرمانهم عن الكرامة. وقوله: حال مقابلتهم: مفعول الحرمان، ومقابلوهم أهل الجنة والنعيم المقيم، فعلى هذا يراد بالتعريض ما اصطاح عليه، وقيل: هو كناية إيمانية؛ لأن الكلام ملزوم للإكرام، فعدم الإكرام يكون ملزوماً لعدم الكلام، فأطلق اللازم وأريد الملزوم^(٢)).

١٠- ومن الكناية عن صفة: قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٤). وقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ كناية عن قلتها، وهي جمع قلّة أيضاً؛ تهويناً لأمر الصيام على المكلفين، وترغيباً للمؤمنين أداء هذه الفريضة. قال ابن عاشور: (والمراد بالأيام من قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: شهر رمضان عند جمهور المفسرين، وإنما عبر عن رمضان بأيام، وهي جمع قلّة، ووصف بمعدودات، وهي جمع قلّة أيضاً؛ تهويناً لأمره على المكلفين، والمعدودات كناية عن القلّة؛ لأن

(١) انظر: الطبري جامع البيان: ٨٩/٢. وابن عطية: المحرر الوجيز: ج ١: ٢٤١. وأبو السعود: إرشاد العقل السليم: ١: ٦٦.

(٢) حاشية ابن التمجيد، تصحيح: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م. ج ٤: ص ٤٥٠.

الشيء القليل يُعدُّ عدًّا؛ ولذلك يقولون: الكثير لا يعد.)^(١).

١١ - ومن الكناية عن صفة: قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَدَّائُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة):

(١٨٧) توالى في هذه الآية عدة كنايات داعية إلى الاستمتاع بما أحل الله للزوج من زوجة ليلة الصيام ، بعد أن ظل المسلمون فترة من الزمن ممنوعين من مواصلة زواجهم إذا ناموا من ليالي رمضان في الوقت ما بين الإفطار والإمساك ، ووقع بعضهم في مخالفات بمعاشرة أزواجهم ، وفي الآية ثلاث كنايات عن الجماع ، وهي قوله: ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ و ﴿بَشِّرُوهُمْ﴾ ، و ﴿وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، ورابعة في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن المعانقة ، كما قال صاحب كتاب «أنوار الربيع»^(٢) . وهذه الكناية تؤكد الكناية السابقة في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ، ومرجع هذه الكناية يعود إلى أن المتعانقين يتضامان ويلتحمان معا ، فيكون كل واحد منهما ساتراً لصاحبه ، بمنزلة اللباس الذي يستر الجسم . وقد تفاوتت هذه التعبيرات في ظهور الكناية وخفائها ، وأقربها إلى التصريح ، هي : الرفث لأن (الرفث كلام متضمن لما يستبجح ذكره من الجماع ، ودواعيه ، وجعل - هنا - كناية عن الجماع نفسه ، تنبيهها على جواز دعائهن إلى ذلك ، ومكالمتهن فيه)^(٣).

والرفث في اللغة: الفحش من القول . قال ابن منظور: (الرفث: الجماع وغيره مما يكون

(١) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير : ج ٢ : ص ٢٢٤ .

(٢) انظر: أنوار الربيع في أنواع البديع : ٥ : ٣١٢ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، المفردات ، ص ١٩٩ .

بين الرجل وامرأته ، يعنى التقبيل والمغازلة ونحوهما مما يكون في حالة الجماع^(١) وهو قول ابن مسعود وقتادة ، وقيل : هو مواعدة الجماع ، والتعريض للنساء به ، عن ابن عباس ، وابن عمر ، وعطاء . وقيل : هو الجماع والتعريض له بمداعبة ، أو مواعدة ، عن الحسن^(٢) . وغالبية المفسرين ذهبوا بالقول إلى أن الرفث كناية عن الجماع .

قال الطبري : فأما الرفث : فإنه كناية عن الجماع في هذا الموضع ، والرفث في غير هذا الموضع : الإفحاش في المنطق ، كما قال العجاج :

وربَّ أسرابٍ حبيجٍ كُظْمٍ عن اللِّغا ورَفَثِ التَّكْمِ .^(٣)

وقد حسب بعض المفسرين هذا اللفظ صريحاً ، وعللوا ذلك بأنه جاء استهجاناً لما وقع من بعض المسلمين من الخلو إلى أزواجهم فيما كانوا ممنوعين منه ليلاً . وقد أحسن صاحب المنار الرد عليهم بقوله : (وقال بعض المفسرين : قد ذكر هنا اللفظ الصريح ، والسبب في ذلك : استهجان ما وقع منهم ، وهذا غلط ، فإن الكلمة بمعنى ما لا يحسن التصريح به من شأن الرجل مع المرأة ، وليست هي من الألفاظ الصريحة في ذلك ..)^(٤)

وبدأت الآية بهذه الكناية الظاهرة : (أحل لكم ليلة الصيام ..) وفيها تأكيد على إباحة كل ما يحل للرجل من زوجه قولاً أو فعلاً ، مما يخشى المسلمون أن يكون قدحاً في جلال الصيام ؛ تورعاً منهم . ثم أكدها بكناية ثانية في قوله : (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) .

ثم جاءت الكناية الثالثة : (باشروهن ..) دالة على نزاهة القرآن ، وعفة لفظه عن ذكر المجامعة ، فاتخذ من المباشرة التي هي في حقيقتها التقاء البشريتين سبيلاً إلى المباشرة ، وابتعاداً عما يثير الغرائز من الألفاظ الصريحة ، وصيانة لأسرار العلاقات الزوجية ،

(١) ابن منظور : لسان العرب ، باب الثاء ، فصل الراء . مجلد 5 : ص 263 .

(٢) الطبري : تفسير جامع البيان : 2 : 322 .

(٣) انظر : ديوان الراجز عبد الله بن رؤبة العجاج : ٢٩٦ . والطبري جامع البيان : ٢ : ١٩٤ .

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج 1 : ص 241 .

السامية ثم جاءت الكناية الرابعة في قوله : (وابتغوا ما كتب الله لكم ..) تساميا بهذه العلاقة ، وتقديساً لأهدافها في إحياء سنة الله في خلقه ، وإعمار الكون بالتنازل والتكاثف وهكذا تنوعت كنايات القرآن في التعبير عن لقاء الزوجين بما يفسح المجال أمام الناطقين بلغة العرب في اختيار الصورة التي تومئ إلى الغرض ، ولا تخدش الحياء .. وتعلم الأزواج السلوك المستقيم في طريقة التخاطب ، والعدول عن الألفاظ الفاحشة ، إلى الكناية عنها بألفاظ جميلة مستساغة .

١٢- ومن الكناية عن نسبة : قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة : ١٨٩) . قال الفخر الرازي : (فجعل إتيان البيوت من ظهورها : كناية عن العدول عن الطريق الصحيح، وإتيانها من أبوابها كناية عن التمسك بالطريق المستقيم، وهذا طريق مشهور في الكناية ، فإن من أرشد غيره إلى الوجه الصواب يقول له : ينبغي أن تأتي الأمر من بابه ، وفي ضده يقال : إنه ذهب إلى الشيء من غير بابه)^(١)

١٣- ومن الكناية عن موصوف : قوله تعالى : ﴿...فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾ (البقرة : ١٩٦) . (والخطاب هنا موجه للمؤمنين الذين يؤدون فريضة الحج . وقوله : ﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ كناية عن الوسخ الشديد والقمل ، لكرهه التصريح بالقمل .)^(٢) وهذا من قبيل التأدب في الخطاب ، والابتعاد عن الفحش في القول ، وذلك ليناسب المخاطب ، والغرض الذي جاء من أجله السياق . وتتضمن هذه الكناية : حث المسلمين على النظافة التي هي شرط أساس لأداء الفرائض من جهة ، ورأفة بالمؤمنين الذين يعانون مرضاً ينتج عنه ذلك الأذى ، أن يجدوا فدية الحج من جهة أخرى .^(٣)

(١) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب : ٥ : ١٢٦ .

(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٢ : ٢٢٤ .

(٣) انظر : عبيد محمد فايز ، مستويات الخطاب البلاغي في سورة البقرة : ص ١٢٢ .

١٤- ومن الكناية عن صفة : قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ١٩٧)

وقد سبق الحديث عن هذه الكناية ، وهي قوله : (رفث) في المثال الحادي عشر السابق قال الفخر الرازي : (أما قوله تعالى: ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ فاعلم أن لباب الشيء ولبه هو : الخالص منه، ثم اختلفوا بعد ذلك، فقال بعضهم: إنه اسم للعقل ؛ لأنه أشرف ما في الإنسان، والذي تميز به الإنسان عن البهائم ، وقرب من درجة الملائكة، واستعد به للتمييز بين خير الخيرين، وشر الشرين، وقال آخرون: إنه في الأصل اسم للقلب الذي هو محل العقل، والقلب قد يجعل كناية عن العقل، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧) فكذا هنا ، جعل اللب كناية عن العقل، فقوله: ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ معناه: يا أولي العقول، وإطلاق اسم المحل على الحال مجاز مشهور، فإنه يقال لمن له غيرة وحمية: فلان له نفس، ولمن ليس له حمية: فلان لا نفس له ، فكذا ههنا. ^(١)

١٥- ومن الآيات التي شملت الكناية عن موصوف : قوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ..) (البقرة : ٢٢٢)

فقوله : ﴿هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ و ﴿مَنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ - من الكنايات اللطيفة ، والتعريضات الحسنة ^(٢) . فالاعتزال كناية عن ترك مجامعتهن وقت الحيض. ^(٣) وربما ينتهي الاعتزال ، وترجعون إليهن ، فالاعتزال يختلف عن الابتعاد. أما قوله

(١) انظر : الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ، 5 : 169. وانظر دقائق الفروق اللغوية ، محمد ياس خضر ، كلية

التربية ، بغداد ، ٢٠٠٥م ، بتصريف واختصار .

(٢) الكشف للزمخشري : ١ : ٣٦٣ ، والإتقان للسيوطي : ١ : ٦٠ .

(٣) انظر: الزمخشري : الكشف : ١ : ٣٦١ ، وابن عاشور : التحرير والتنوير : ٢ : ٣٦٦ .

تعالى (فَأْتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) فهو كناية عن الفرج كما يخبرنا بذلك الفراء. (١) وعبر بالإتيان هنا ، وهو شهير في التكني به عن الوطء ، لبيان أن المراد بالقربان المنهي عنه هو : ذلك المعنى الكنائى ، فقد عبر بالاعتزال ، ثم قفى بالقربان ، ثم قفى بالإتيان ، ومع كل تعبير فائدة جديدة ، وحكم جديد ، وهذا من إبداع الإيجاز في الإطناب» (٢) فالكناية عن موصوف جاءت تحمل هذا الإيحاء ، والسياق هو وحده يدلنا عن المغزى الذي عمد النص القرآني إلى إخفاء دلالة .

١٦- قوله تعالى : ﴿فَسَاوُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِّمُوا أَنْكُم مِّلْفُوهُ وَبَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة : ٢٢٣) . قال الزمخشري: وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ﴾ من الكنايات اللطيفة، والتعريضات المستحسنة. وهذه وأشباهاها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يتعلموها، ويتأدبوا بها، ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم. إن هذه الكناية مما انفرد به القرآن الكريم ، فهي كناية لطيفة ، مصورة ، مهذبة ، فيها من روعة التعبير ، وجمال التصوير ، وألوان الأدب والتهديب ما لا يستقل به بيان ، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن . إنها عبرت عن المعاشرة الزوجية التي من شأنها أن تتم في السر والخفاء بالحرث ، وهذا نوع من الأدب رفيع ، وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية وتنطوي تحته معاني كثيرة . ثم انظر إلى ذلك التشابه بين صلة المزارع بحرثه ، وصلة الزوجة في هذا المجال الخاص ، وبين ذلك النبت الذي يخرج الحرت ، وذلك النبت الذي تخرجه الزوجة ، وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح ، كل هذه الصور والمعاني تنطوي تحت كلمة « الحرت » ، أليست الكلمة معجزة بنظمها وتصويرها ؟ (٣)

١٧- ومن الكناية عن موصوف قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ (البقرة : ٢٣٥) الخطاب هنا موجه للمؤمنين فكنى عن الجماع بالسر .

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ١٤٣ .

(٢) انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٢ : ٣٦٩ .

(٣) انظر : الزمخشري ، الكشاف ، 1 : 362 .

وفيه لطيفة أخرى : لأنه يكون من الأدميين في السر غالباً .^(١) قال الزمخشري : وقوله : (ولكن لا تواعدوهنَّ سرّاً) : الوطء ، لأنه مما يُسرَّر . قال الأعشى : وَلَا تَقْرَبِينَ مِنْ جَارَةٍ إِنْ سَرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكَحْنَ أَوْ تَأَبَّدَا^(٢) ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد ، لأنه سبب فيه .^(٣) وإذا أمعنا النظر نجد أن الكناية اللطيفة في هذه الآية ألواناً من الأدب الرفيع ، والخلق النبيل فهي مؤدبة مهذبة ؛ لأنها ترسم طريق التخاطب بين الرجل والمرأة ، بما لا يمس شعور أحدهما بأدنى سوء . إن في الكناية بالسر عن الجماع من ألوان الأدب والتهذيب ما يعجز عن وصفه أساطين البيان ، وفيه من جمال التعبير ما يسترق الأسماع ، ويهز العواطف ، ويحرك الأحاسيس والمشاعر . لقد ألبست الجماع الذي يتم في السر ثوب السر ، فذهبت بسر الفصاحة والبيان .

١٨- ومن الكناية عن موصوف قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة : ٢٣٧) .

يقول الزمخشري : (وجعل المس عبارة عن النكاح الحلال ، لأنه كناية عنه ، كقوله تعالى : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ (البقرة : ٢٣٧) وقوله : ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (النساء : ٤٣) ، والزنا ليس كذلك ، وإنما يقال فيه : فجر بها ، وخبث بها ، وما أشبه ذلك . وليس بقمم أن تراعى فيه الكنايات والآداب)^(٤) وقوله : (ليس بقمم أن تراعى فيه الكنايات والآداب) يفيد إثباته للمس كناية عن النكاح الحلال .

(١) الزركشي : البرهان في علوم القرآن : ج ٢ : ص ٢٠٣ . وانظر : عبير محمد فايز ، مستويات الخطاب البلاغي في سورة البقرة : ص ١٢٤
(٢) ديوان الأعشى (أعشى قيس) : 46.
(٣) الزمخشري : الكشاف : ج ١ : ص ٣٧٣ .
(٤) انظر : الزمخشري : الكشاف : 9:3 .

ومن فضائل الكناية في هذه الآية الكريمة: أنها دلت على أسلوب راق في الخطاب مع العفيفات رببيات البيوت المومنة، إذ لا يصح في حقها الحديث أمامها بما يخذش الحياء

١٩- ومن الكناية عن موصوف قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِأُذُنِ اللَّهِ وَقَتَل دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَاتَكَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١)

قال الألويسي: وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ ﴾ وهم أهل الشرور في الدنيا، أو في الدين، أو في مجموعهما. (ببعض) آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى من القتل، كما في القصة المحكية أو غيره، على أن صيغة المغالبة للمبالغة. (لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) وبطلت منافعتها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يصلح الأرض ويعمرها، وقيل: هو كناية عن فساد أهلها وعموم الشر فيهم؛ وفي هذا تنبيه على فضيلة الملك، وأنه لولاه ما استتب أمر العالم (١).

٢٠- ومن الكناية عن الضمير قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٠). قال ابن عاشور: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّن نَّذْرٍ... ﴾ (تذييل للكلام السابق المسوق للأمر بالإنفاق وصفاته المقبولة والتحذير من المثبطات عنه، ابتداءً من قوله: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ... ﴾ (البقرة: ٢٦٧). والمقصود من هذا التذييل التذكير: بأن الله لا يخفى عليه شيء من النفقات وصفاتها، وأدمج النذر مع الإنفاق، فكان الكلام جديراً بأن يكون تذييلاً. وقوله: (فإن الله يعلمه) كناية عن الجزاء عليه، لأن علم الله بالكائنات لا يشك فيه السامعون، فأريد لازم معناه، وإنما كان لازماً له، لأن القادر لا يصدده عن الجزاء إلا عدم العلم بما يفعله المحسن أو المسيء. وقوله: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾

(١) الألويسي، روح المعاني: مجلد ١: ص ١٧٣-١٧٤.

: هذا وعيد قُوبل به الوعد الذي كَتَبَ عنه بقوله: ﴿فَاتَّ اللَّهُ يَعْلَمُهُ﴾ ، والمراد بالظالمين : المشركون علناً ، والمنافقون ، لأنهم إن منعوا الصدقات الواجبة فقد ظلموا مصارفها في حقهم في المال ، وظلموا أنفسهم بإلقائها في تبعات المنع ، وإن منعوا صدقة التطوع : فقد ظلموا أنفسهم بحرمانها من فضائل الصدقات وثوابها في الآخرة .
والأنصار : جمع نصير ، ونفي الأنصار : كناية عن نفي النصر والغوث في الآخرة وهو ظاهر ، وفي الدنيا لأنهم لما بخلوا بنصرهم الفقير بأموالهم ، فإن الله يعدمهم النصير في المضائق ، وَيُقَسِّي عليهم قلوب عباده ، ويلقي عليهم الكراهية من الناس .^(١)
وقد كشفت الكناية فيما أوردناه من آيات عن الكثير من المعاني الموجزة ، والمهذبة ، التي تبتعد عما يفحش ذكره ، وينبو عن الأسماع . وتبدو بلاغة الكناية كذلك في أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات ، فإن المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس ، بهزك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً .

٢١- ومن الكناية عن موصوف : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران : ٧٧)
وقد جرت أمثال هذه الأوصاف على اليهود مفرقة في سورة البقرة : قال تعالى : ﴿... وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ (البقرة : ٤٠) ، ﴿... وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَتِي ثَمناً قَلِيلاً وَإِنِّي فَأْتَقُونَ﴾ (البقرة : ٤١) ، وقال : ﴿... وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ (البقرة : ١٧٤) . فعلمنا أنهم المراد بذلك هنا .

قال ابن عاشور : (ومعنى) ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة (غَضَبُهُ عليهم ؛ إذ قد شاع نفي الكلام في الكناية عن الغضب ، وشاع استعمال النظر في الإقبال والعناية ، ونفي النظر في الغضب ، فالنظر المنفي - هنا - نظر خاص . وهاتان الكنيتان

(١) انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير : ج3 : ص66-65 . باختصار .

يجوز معهما إرادة المعنى الحقيقي.)^(١)

٢٢- ومما ترى فيه ذكر اللزوم وإرادة الملزوم ، وهو كناية عن صفة ، قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (آل عمران : ٩٠) قال الزمخشري : (فإن قلت : فأى فائدة في هذه الكناية ، أعني : أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة ؟ قلت : الفائدة فيها جليلة ، وهي التعليل في شأن أولئك الفريق من الكفار ، وإبراز حالهم في صورة حالة الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدها ، ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة ..)^(٢) أي أن الذي لا تقبل توبته من الكفار : هو الذي يموت على الكفر ، كأنه قيل : إن اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر ، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم .. أي : الذين ضلوا سبيل الحق وأخطؤوا منهاجه ، وقد أشكل على كثير قوله تعالى : (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) مع أن التوبة عند الجمهور مقبولة كما في الآية قبلها ، وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ (الشورى : ٢٥) . وغير ذلك ، فأجابوا : بأن المراد عند حضور الموت . قال صاحب الكشاف : (قوله (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) جعل كناية عن الموت على الكفر ؛ لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر ، كأنه قيل إن اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم.)^(٣)

المبحث الرابع : الأغراض والخصائص البيانية لأسلوب الكناية في القرآن الكريم

الكناية صورة من صور التعبير ، ومظهر من مظاهر البلاغة ، وأسلوب من أساليب البيان ، وغاية لا يقوى على الوصول إليها إلا بليغ متمرس لطف طبعه ، وصفت قريحته . ولها عند البلاغيين منزلة عالية ، ومكانة مرموقة ، وبلاغة (لا يكمل لها

(١) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير : 3 : 290 .

(٢) الزمخشري : الكشاف : 1 : 443 .

(٣) الزمخشري ، الكشاف : ١ : ٤٤٣ .

إلا الشاعر المُفلق^(١) والخطيب المصقع^(٢) أو كما يصفها الزمخشري: (ولا ترى باباً في علم البيان أدق ، ولا أرق ، ولا ألطف من هذا الباب .)^(٣) ، ولذا فقد كانت الكناية الميدان الفسيح الذي يتسابق فيه البلغاء ، وتتفاوت فيه أقدارهم ، وتتباين فيه منازلهم ، ولا عجب في هذا ، فهي (واد من أودية البلاغة ، وطريق جميل من طرق التعبير الفني ووسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع ، ولها أثر كبير في تحسين الأسلوب ، وتزيين الفكرة ، فهي من العبارة الأدبية كالدرة اليتيمة في العقد ، وكالزهرة الجميلة في الروضة الفيحاء تضيء عليها جمالاً أخاذاً ، وسحراً حلالاً ، وتكسوها رونقا وبهاء ، فتسترعي الانتباه ، وتسترق الأسماع ، وتبهز الألباب ...)^(٤) ثم إن الكناية في القرآن (فوق طاقة بني الإنسان ؛ لما فيها من روعة التعبير ، وجمال التصوير ، وألوان الأدب والتهديب ، ما لا يستقل به بيان ، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن ..)^(٥) فلا تجد معنى من المعاني في القرآن جاء بهذا الأسلوب الكنائي إلا وفيه نكت بيانية ، وأسرار بلاغية ، ما كانت لتكون لو جاء الأسلوب على حقيقته ، كما سيتضح أثر هذا الأسلوب فيما سأذكره من آيات يتجلى فيها بلاغة هذا الأسلوب ، وأسارته البيانية **يقول عبد القاهر الجرجاني** : (قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح ،

(١) يقال : أفلق الشاعر : أتى بما يعجب في شعره . ومُفلقٌ في الأمر : كان به حاذقاً . فالشاعر المفلق : شاعر مبدع يأتي في شعره بالغرائب .. انظر : المعجم الوسيط ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٧١٠ . مكتبة الشروق الدولية ، إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(٢) قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ فِي حَدِيثٍ حَدِيثُهُ أَنَّهُ قَالَ : «شَرُّ النَّاسِ فِي الْفِتْنَةِ الْخَطِيبُ الْمُصْقَعُ ، وَالرَّكِبُ الْمَوْضِعُ» ، (حديثٌ موقوفٌ) والخطيب المصقع : هو الذي لا يرتج عليه ، ولا ينعتع في كلامه . وأصله من الصَّق ، وهو : رفع الصوت ومتابعتة .. يقال : خطيب مصقَعٌ ، وخطيب مسقَلٌ ، وهو الماهر بالخطبة ، الماضي فيها . قال قيس بن عاصم : خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه مصاقع لُسُن . والموضع : المسرع في الفتنة ، الساعي فيها . ومنه قول دريد بن الصمة : (أخبُّ فيها وأضع ..) انظر : غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٣٨٨هـ) . تحقيق عبد الكريم الغرباوي ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٢ م ، خرج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبي : رقم الحديث : ١٠٩٤ .

(٣) الزمخشري ، الكشاف : ج ٣ : ص ٣٦٥ .

(٤) انظر : د. محمود السيد شيخون ، الأسلوب الكنائي في القرآن : ص ٨٧ .

(٥) المرجع السابق : ص ١٠١ .

والتعريض أوقع من التصريح ، وأن للاستعارة مزية وفضلاً ، وأن المجاز - أبداً -
أبلغ من الحقيقة ..) ثم يمضي إلى القول : (تفسير هذا : أن ليس المعنى إذا قلنا : إن
الكناية أبلغ من التصريح ، أنك لما كُنيت عن المعنى زدته في ذاته ، بل المعنى أنك زدت
في إثباته ، فجعلته أبلغ ، وأكد ، وأشد ، فليست المزية في قولهم : (جم الرماد) أنه دل
على قرى أكثر ، بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ ، وأوجبته إيجاباً هو
أشد ، وأدعيته دعوى أنت بها أنطق ، وبصحتها أوثق .. ثم يقول موضعاً سر بلاغة
الكناية : أما الكناية ، فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح ،
أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه ، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها ، وإيجابها بما هو
شاهد في أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً ، وذلك أنك
لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف ، وبحيث لا يشك فيه ، ولا
يظن بالمخبر التجوز والغلط ..) (١) هذا هو أس أغراض الكناية ، وسر أسرار بلاغتها
، ومن يتأمل أسلوب الكناية في القرآن - وكان ممن يتذوق الفصاحة والبيان - يدرك
ما تنطوي عليه من لطائف وأسرار ، ويجد أنها قد اشتملت على كثير من الخصائص ،
والمزايا والأغراض التي تحقق الغاية منها ، والهدف من ورائها

ومن هذه الخصائص والأغراض :

١ - تجسيد المعاني وإظهارها في صورة المحسوسات :

ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى تصويراً لحال صاحب الجنة عندما رأى جنته التي كان
يعتز بها ، قد أهلكها الله ؛ عقاباً له على شركه : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ
عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٤٢)
فقوله : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ كناية عن الندم والحسرة ، والصفة التي تلزم من
تقليب الكفين هي الندم والحسرة ، لأن النادم والحزين يعملان ذلك . فتقليب الكفين

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص 70 - 72 .

في مثل هذا الموقف كناية عن الندم والحزن . فالمعنى الصريح هنا هو : فأصبح نادماً حزيناً .. وهذا أمر معنوي ، تدخلت فيه الكناية فجسمته ، وأظهرته للعيان في صورة رجل اعتراه الذهول من هول ما أصاب جنته ، التي كان يعتز بها ، فوقف يقلب كفيه ندماً وحزناً على أمله المنهار أمام عينيه . ومعلوم : أن تشخيص المعاني ، وتجسيد المشاعر والخواطر يكسبها قوة ، ويضاعف من تأثيرها في النفس .^(١)

٢- التأكيد والمبالغة في إثبات المعنى المراد بيانه وتقريره

وتتجلى هذه الخاصية حينما نتأمل قوله تعالى : (وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بِبَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسُوءُ الْمَصِيرُ) (الحج: ٧٢) ، فنجد أن الله - سبحانه - كنى بقوله : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ عن شدة عداوة أولئك الكفرة للقرآن الكريم ، ومدى حقدهم عليه ، وهذا المعنى الذي ذكره القرآن وبينه ، لم يأت غفلاً من البيّنات والدلائل التي تؤكده ، فقد جاء مصحوباً بما يدل عليه ، والبرهان الذي يشير إليه ويؤكده : وهو أن هؤلاء القوم قد بلغ بهم الحقد والبغض أمراً عظيماً ، حتى أنك ترى ملامح ذلك في وجوههم ، وانفعالاتهم ، وتصرفاتهم . ويرى الفخر الرازي تحقق هذا المقصد في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَدُخِلُوهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (النساء : ٥٧) إذ قال في تفسيره : (واعلم أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة ، فكان الظل عندهم أعظم أسباب الراحة؛ ولهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة .. فإذا كان الظل عبارة عن الراحة ، كان الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة ..)^(٢) وهذا مما يكشف عن علاقة القرآن بالبيئة ، وتلك خصيصة من خصائص إعجازه ، كشف عنها المفسرون

(١) انظر : د. عبد العزيز عتيق ، علم البيان : ص ٢٢٤ .

(٢) الفخر الرازي ، تفسير مفاتيح الغيب : ١٠ : ١٣٧ .

٣- الإيجاز في التعبير : وهذه الخاصية وإن كانت تتجلى في كثير من الأساليب القرآنية ، إلا أن للكناية منه نصيباً وافراً . وتتجلى هذه الخاصية في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة : ٢٤) . وهذه الآية تأمر الناس بالإقلاع عن المعاندة والمكابرة عند ظهور المعجزة الخالدة ، فهي توضح كيفية اجتناب النار العظيمة التي لا تترك شيئاً ، فتلتهم الحجارة القاسية ، وتحتضن الإنسان المعاند ، وتعذبه حرقاً . ويلزم ممن يتق النار ترك العناد .

يقول أبو السعود : ((فَاتَّقُوا النَّارَ) جوابٌ للشرط على أن اتقاء النار كنايةٌ عن الاحتراز من العناد، إذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتب عليه، كأنه قيل : فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله - كما هو المقرر - فاحترزوا من إنكار كونه منزلاً من عند الله سبحانه فإنه مستوجبٌ للعقاب بالنار، لكن أوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار، وجعل الاتصاف به عين الملازمة بها ؛ للمبالغة في تهويل شأنه، وتفضيع أمره، وإظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه، وتنفيرهم عنه، وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه، وفيه من الإيجاز البديع ما لا يخفى)^(١) وذكر الشهاب أسرار وفوائد هذه الكناية ، ومن هذه الأسرار :

أ- تقرير المعنى ، أي : تثبيته وتبيينه ؛ لأنه كإثبات الشيء ببيته ، لما بينهما من التلازم

ب- التهويل ، وهو التفخيم مع الإنذار والتخويف ، لأنه إذا ثبت إتقاء النار بترك العناد ، فقد أقيم العناد مقام النار ، كما في قوله تعالى : (فما أصبرهم على النار) (من الآية ١٧٥ من سورة البقرة .) لأن معناه : ما أكثر عصيانهم ، وهو من أبلغ الكلام .

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ” 1: 67.

ج - فيه تصريح بالوعيد ، وأنهم يستحقون النار ، ويعاقبون بها لتمردهم .

د - الإيجاز ، فإن الجزاء الحقيقي تقديره : ظهر أنه معجز ، وأن التصديق به واجب ، فأمنوا به ، أطول من قوله : (اتقوا النار) ، لأن الصفة لا دخل لها في الجزاء .^(١) وفي قوله سبحانه : (فإن لم تفعلوا) ، كناية أيضاً ؛ لأن الفعل يكنى به جميع الأشياء . ومعنى الآية : فإن لم تأتوا بسورة من مثل هذا القرآن ، ولن تستطيعوا الإتيان فاتقوا النار . يقول الزمخشري : (فإن قلت : لم عبر عن الإتيان بالفعل ؟ وأي فائدة في تركه إليه ؟ قلت : لأنه فعل من الأفعال . تقول : أتيت فلاناً . فيقال لك : نعم ما فعلت . والفائدة فيه أنه جار مجري الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه .)^(٢)

وقد اشترط سبحانه وتعالى في إلقاء النار ، إنتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؛ لأنه إذا ظهر عجزهم عن المعارضة ، ولم يأتوا بسورة من مثله ، صحَّ عندهم صدق رسول الله ﷺ ، وإذا صح عندهم صدقُهُ ثم لزموا العناد ، ولم يتبعوا النبي ﷺ ، استوجبوا العقاب بالنار ، فاتقاء النار يوجب ترك العناد ، فأقيم المؤثر مكان الأثر ، وجعل قوله (فاتقوا النار) قائماً مقام قوله (فاتركوا العناد) ، وهذا هو الإيجاز الذي هو أحد أبواب البلاغة . وفيه : تهويل لشأن العناد لإنابة إلقاء النار منابه ، مُتبعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفضيع أمرها . وهو إيجاز بديع ، وذلك أن إلقاء النار لم يكن مما يؤمنون به من قبل ، لتكذيبهم بالبعث ، فإذا تبين صدق الرسول لزمهم الإيمان بالبعث والجزاء . فكنى بهذه الآية (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ..) عن ترك العناد والمكابرة ، عند ظهور المعجزة لهم ، والعجز عن الإتيان بمثل القرآن ، أي : لا تعاندوا عند ظهور المعجزة ، فتمسك هذه النار العظيمة ، تأمل هذه الكناية ومدى ما فيها من جمال التعبير ، وروعة التصوير ، ولطافة الإيجاز تبهرك بجمالها ، وتأسرك بسحرها وبيانها ، وتعجز عن محاكاتها^(٣)

(١) - حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 2 : 50 .

(٢) - الزمخشري : الكشاف ، 3 : 294 .

(٣) - د . محمد شيخون : الإعجاز في نظم القرآن : ص ١٠٩ . وانظر : د . عبد العزيز بن صالح العمار :

التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن ، ص ١٤٢ .

والإيجاز متحقق عنده في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس : ١٠٦) إذ قال : (فإن فعلت) معناه : فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فكنى عنه بالفعل إيجازاً^(١) ، فالإيجاز في التعبير من سمات بلاغة النص القرآني .

٤ - تأتي الكناية لتهجين الشيء والتنفير منه ، ولأداء دورها الأخلاقي في صون اللسان عن الإفصاح بما يستحي الإنسان من ذكره ، وينفر من التصريح به . ومن ثم كان القرآن - وهو كتاب يُرسي دعائم الفضيلة ، ويدعو إلى تهذيب النفس واللسان - كان له هذا الفيض من الكنايات التي تُتيح للمسلم أن يعبر بالكناية فيما لا يرغب التصريح به . وكثير منها وَجَدَ طريقه إلى لسان العرب لأول مرة ، ولم يَسبق للعرب إجراؤها على ألسنتهم .

ومن الكنايات التي كثرت في النظم القرآني : ما ورى به عن التقاء الزوجين ، حيث نراه يُحيل ما يستثير الغرائز إلى دوافع نفسية نبيلة ، ويضعها في إطار الحكمة المشروعة لبقاء النوع ، واستمرار حركة الحياة ، ويخرجها في عبارة مهذبة ، تتوارى معها كل الدوافع الجنسية ، قال تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْي شِئْتُمْ ﴾ (البقرة : ٢٢٣) . ففي قوله : ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ .. كناية طريفة عن الجماع ، وهي إلى جانب ما فيها من الأدب الجَمِّ ، وَعِفَّةِ اللسان ، نجد فيها ارتفاعاً بالغرائز إلى مستوى يستلهم الحكمة الالهية في بقاء النوع ، وعمارة الكون ، وتنقلنا من الفراش إلى صورة الزارع يبذر الحب ، ويفلح الأرض ، ويرجو الإزهار والإثمار .

٥ - كما تأتي الكناية لقصد الازدراء والتحقير بالمكنى ، كما في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ آئِلٍ مُظْلِمًا ...) (يونس : ٢٧) إذ يرى الفخر الرازي أن

(١) الزمخشري : الكشاف : 2: 356.

هذا المقصد متحقق في قوله تعالى: (وَتَرَهُمْ ذُلًّا) فهو (كناية عن الهوان والتحقير).^(١)

٦- التآدب في الخطاب والبعد عن الفحش في القول : وأمثلة ذلك - أيضاً - كثيرة في القرآن ، منها : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة : ٤٩) والخطاب - هنا - لبني إسرائيل ، إذ يذكرهم سبحانه بما كانوا يلاقونه على أيدي فرعون وجنوده ؛ ليتعظوا ويعتبروا ، والاستحياء استفعال يدل على الطلب للحياة ، أي يبقونهن أحياء . ووجه ذكره - هنا - في معرض التذكير بما نالهم من المصائب ؛ أن هذا الاستحياء للإناث كان المقصد منه خبيثاً ، وهو أن يعتدوا على أعراضهن ، ولا يجدن بدءاً من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق . فيكون قوله : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ كناية عن استحياء خاص ، (المقصد منه خبيث ، وهو أن يعتدوا على أعراضهن ، ولا يجدن بدءاً من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق ، ولذلك أدخل في الإشارة في قوله ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ، ولو كان المراد من الاستحياء ظاهراً ، لما كان وجه لعطفه على تلك المصيبة ، والغرض من استخدام الكناية : التآدب في الخطاب ، والبعد عن الفحش في القول)^(٢) ؛ وفيها تذكير لبني إسرائيل بنعمة من أجل نعم الله عليهم ، حيث أنجاهم ممن أراد لهم السوء ، وعمل على قتلهم وإبادتهم واستئصال شأفتهم ، وفي ذلك : ما يدعوهم إلى الاجتهاد في شكر الله - عز وجل - لو كانوا ممن يحسنون شكر النعم.^(٣)

٧- مراعاة الآداب العامة ، وعدم خدش الحياء : كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴾ (مريم : ٢٠) . قال الأكويسي : (والمسيس - هنا - كناية عن الوطء وهذا نفي عام للزوج وغيره ، والبشر يطلق على

(١) انظر : الفخر الرازي : تفسير مفاتيح الغيب : 17 : 80 .

(٢) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير : ج 1 : ص 493 .

(٣) انظر : د. محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط : مجلد 1 : ص 157 .

الواحد والجمع، والتنكير للعموم) (١) وفائدة هذه الكناية تنزيه ساحة مريم عليها السلام عن الفحشاء. وكقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ (البقرة: ٢٣٧) فالتماس: كناية عن الجماع. وأسلوب الكناية في هذه الآيات، هدفه تنبيه العباد لاختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به.

٨- التيسير على المجتهدين في استنباط بعض الأحكام الفقهية، كما في قوله تعالى: ﴿...وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾ (المائدة: ٦) قال الطبري: (اختلف أهل التأويل في اللمس الذي عناه الله بقوله: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، فقال بعضهم: عنى بذلك الجماع. وقال آخرون: عنى الله بذلك كل لمس بيد كان أو غيرها من أعضاء جسد الإنسان، وأوجبوا الوضوء على من مَسَّ بشيء من جسده شيئاً من جسدها مفضياً إليه. وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عنى الله بقوله (أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) الجماع دون غيره من معاني اللمس، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه (قَبَّلَ بعض نساءه ثم صلى ولم يتوضأ) (٢) والذي يظهر: ترجيح قول القائل بأن المقصود بالملامسة في الآية الكريمة: الجماع؛ لصحة ما ورد عن المعصوم عليه السلام، ولكثرة القائلين بهذا القول) (٣)

ومن هنا نجد للمعنى الكنائى أهمية في توضيح وتطبيق الأحكام الشرعية، إذ يتوقف الحكم الشرعي على فهم المسألة. فإذا حملنا اللمس على المعنى الكنائى وهو المجامعة، كان اللمس لجسد المرأة لا وضوء عليه، ولا غسل ما لم يجامعها. وإذا حملناه على معناه اللغوي، وهو مطلق اللمس، كان على اللمس لأي عضو من جسدها الوضوء، على خلاف بين الفقهاء في ذلك. ومما سبق نجد: أن كنايات القرآن هي الأحسن، والألطف، والأحز للمفاصل، وهي خير شاهد على سمو أدبي، أراد الله للمؤمنين أن يتبعوه في تخاطبهم.

(١) الأكوبي: روح المعاني: 3: 246.

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 4: 152. كتاب الصوم، باب القبلة للصائم. وانظر: جامع البيان للطبري: 5: 105-101.

(٣) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن: 2: 283.

الخاتمة

الكناية أسلوب حضاري مهذب ، يتضح لنا من خلال تحليل بعض الشواهد التي ذكرتها ، وكانت في كتاب الله مُصورة للمعاني خير تصوير ، فهي تؤدي المعنى أداء مهذباً ، إذ تتجنب ما ينبو على الأذن سماعه ، وهي في نفس الوقت موجزة ، تنقل المعنى الكبير في اللفظ القليل . وكثيراً ما تعجز الحقيقة عن أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية في المواضع التي وردت فيها في القرآن الكريم . ولا تأتي إلا بأحسن القول ، وأدق التعبير .

ويمكنني تلخيص بعض النتائج بما يلي :

1- إن التعبير القرآني بعامة ، يخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية ، بالقدر الذي يخاطب به العقول ، مستخدماً الحقيقة أو المجاز على السواء ؛ ليصل في النهاية إلى تجسيم المعاني في صور حسية تنطق بالحركة ، وتنادي على نفسها بالبيان ، حتى تستحوذ على لب الإنسان بسحر عجيب لا يحيط به وصف المتيقن ، والغائب كأنه شاهد .⁽¹⁾

2- الكناية من التعبيرات البيانية الغنية بالاعتبارات والمزايا ، وأما اللمسات البلاغية والبيانية : فهي تضيف على المعنى جمالاً ، وتزيده قوة ، ويستطيع الأديب المتمكن ، والبليغ المتمرس أن يحقق بأسلوب الكناية العديد من المقاصد والأهداف البلاغية .

3- الكناية أبلغ من التصريح ، وأجمل من الإفصاح ، وإن كان عبد القاهر الجرجاني يرى أن ليس معنى ذلك أنك إذا كُنيت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته ، فجعلته أبلغ ، وأكد ، وأشد .⁽²⁾

(١) انظر : الزمخشري ، الكشاف : 1 : 54 .

(٢) انظر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص 70 .

4- الكناية وسيلة من وسائل تحقيق القصد في النيل من الخصم ، من غير أن تمسه مساً ظاهراً مكشوفاً ، ولعل أسلوب الكناية من بين أساليب البيان هو الأسلوب الوحيد الذي يستطيع المرء أن يتجنب به التصريح بالألفاظ الخسيصة ، أو الكلام الذي يعافه الذوق السليم . إن صور القرآن عناصر أساسية للموضوع ، وأجزاء رئيسة في الجملة ، وليست مجرد ترف أسلوبى للتأنق ، يتظاهر في إخراجها جلية كل عناصر الجملة ، بدءاً من الحرف وصوته ، حتى نهاية السياق أجمعه .

٥- عدّ البلاغيون أسلوب الكناية - في بعض الأحيان - ضرورة يتطلّبها الموقف ، وذلك حين يكون اللفظ الصريح تشمئز منه النفس ، ويعافه الذوق ؛ لمجافته الأدب ، والقيم الاجتماعية ، أو يكون التعبير الصريح مدعاةً للمتاعب ، ومثاراً للأذى ، واستجلاب الخصومة .

6- ليس النقل بمبيح للناقل أن يصرّح بما يقتل العفة في اللسان ، بحجة الأمانة في النقل ، وفي الكناية والتعريض عن المعاني التي لا يحسن الإفصاح بها ، ما يُعين على أمانة النقل ، ويصون اللسان عن الفحش .

٧- التعبير القرآني - بعامة - يخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية ، مستخدماً الحقيقة أو المجاز على السواء ؛ ليصل في النهاية إلى تجسيم المعاني في صور حسية تنطق بالحركة . أو كما يقول الزمخشري : (تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض اليقين ، والغائب كأنه شاهد)^(١) كما يستطاع بأسلوب الكناية التعمية ، والتغطية ، وإخفاء ما يود المتكلم إخفاءه ؛ حرصاً على المكنى عنه ، ورغبة في عدم ترده على الألسنة .

٨- الكناية أبلغ من التصريح ؛ لأنها - في كثير من صورها - تعطي الدعوى ودليها ، والقضية وبرهانها ، والكلام المقرون بدليله أقوى من الكلام العاري عن الدليل والبرهان ؛ كأن تقول : فلان كثير الرماد ، فتنتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر ،

(١) الزمخشري ، الكشاف : ج ١ ، ص ٥٤ .

ومن كثرة الجمر إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدر، ومن كثرة إحراق الحطب إلى كثرة الطبخ، ومن كثرة الطبخ إلى كثرة الأكلة، ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان، إلى أنه مضياف .

٩- تخرج الكناية بالمعنى من العموم إلى الخصوص؛ فكلمة كريم يدخل تحتها كل من يتصف بالكرم، ولكن عبارة (كثيرة الرماد) أفادت معنى خاصاً دالاً على كثرة الضيافة، وهذا المعنى قد لا يتوافر في كل من يتصف بالكرم، فالكرم الذي هو معنى مجرد تحول إلى معنى حسي في (كثير الرماد).

١٠- الكناية طريقاً من طرق الإيجاز والاختصار، ولها أثر في نفس السامع مالميس للإفصاح . ولون من ألوان التعبير البياني، وقد عني بها العرب، وعرفوا لها مكانتها في الإيضاح والتأثير؛ لأنها وردت كثيراً في كلام العرب والقرآن الكريم، وكانت في كتاب الله موجزة، ومصورة للمعاني خير تصوير، وكانت مؤدبة مهذبة؛ تتجنب ما ينبو على الأذن سماعه، كما رأينا من خلال استعراضنا لبعض أساليب الكناية في سورة البقرة .

والكناية - كذلك - باب واسع؛ ولذلك قال عبد القاهر الجرجاني: (وليس لشعب هذا الأصل وفروعه، وأمثله، وصوره، ومسالكه، حد ونهاية ..) (١) وبذلك فتح الطريق أمام الدارسين .

وصدق من قال: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٥) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه أجمعين .

(١) انظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، ط 5، 1372هـ، القاهرة، ص: 240

المصادر والمراجع

١. الإتيقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط البابي الحلبي ، القاهرة .
2. الأسلوب الكنائسي : د. محمود السيد شيخون ، ط 1 ، مكتبة الكليات الأزهرية .
3. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : عز الدين بن عبد السلام (ت 660هـ) دار الفكر ، دمشق .
٤. الإكسير في قواعد التفسير: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي(ت: ٧١٦ هـ) ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار الأوزاعي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩ م
5. الإعجاز في نظم القرآن : د. محمود السيد شيخون ، ط 1 ، 1398هـ .
6. الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب (ت 739هـ) شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني .
7. إرشاد العقل السليم مزايا القرآن الكريم : أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي (ت 951هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
8. أساليب البيان في القرآن : سيد جعفر الحسيني : وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ط 1 ، طهران ، 1413هـ .
9. أمالي الشريف المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد : لأبي القاسم علي بن الطاهر بن أحمد الحسين بن موسى (ت 436هـ) : ط البابي الحلبي ، مصر ، 1325هـ .
10. أنوار التنزيل وأسرار التأويل : : البيضاوي ، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 791هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1988م .
11. أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين ابن معصوم المدني (١٠٥٢ - ١١٢٠هـ) تحقيق : شاكر هادي شُكر- مطبعة النعمان - النجف ، ١٩٦٨ - ١٩٦٩م
١٢. البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) ، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة .

13. البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
14. البيان في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، مصر ، ط 1 ، 1984م .
- ١٥ . التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت ٩٧٣م) بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .
16. التحقيق في كلمات القرآن الكريم : حسن المصطفوي : ط 1 ، 1371هـ ، إيران . (14 جزءاً) .
17. التسهيل لعلوم التنزيل : محمد بن أحمد بن جزى الكلبى (ت 741هـ) دار الفكر للطباعة ، بيروت .
18. التصوير البياني ، د. حنفي محمد شرف ، ط 2 ، القاهرة ، 1973م .
19. التصوير البياني ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط 2 ، 1980م .
20. التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن : د. عبد العزيز بن صالح العمار : جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم : الطبعة الأولى ٢٠٠٧م .
21. تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ) دار المعرفة ، بيروت ط 2 ، 1978م .
22. التفسير الكبير : الفخر الرازي ، محمد بن عمر التميمي (ت 606هـ) المطبعة البهية ، 1938م مصر .
23. تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي ، (ت 1952م) ط 3 ، 1974م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٢٤ . التفسير الوسيط للقرآن الكريم : د. محمد سيد طنطاوي : مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
- ٢٥ . التلخيص : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي بيروت .
- ٢٦ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) دار المعرفة بيروت ، ١٩٨٣م .
- ٢٧ . الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) الهيئة

- المصرية العامة للكتاب ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .
28. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد الهاشمي : مطبعة الاعتماد ، القاهرة .
29. حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي ، تصحيح : عبد الله محمود عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001 م
30. حاشية أحمد الصاوي على تفسير الجلالين ، ط المطبعة الأزهرية بمصر ١٩٢٦ م .
٣١. حاشية الشهاب المسماة : عناية القاضي وكفاية الرازي : احمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي : (ت ١٠٩٦ هـ) دار صادر ، بيروت .
٣٢. حول الإعجاز البلاغي للقرآن : د. حسن طبل ، المنصورة ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
33. دلائل الإعجاز: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت 471 هـ) : تعليق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة . وهناك نسخة أخرى تحقيق لامحمد رشيد رضا ، ط 5 ، 1372 هـ ، القاهرة .
34. ديوان الأعشى ، ميمون بن قيس (ت 570 م) ، دار صادر ، بيروت .
35. ديوان امرئ القيس : (540 م تقريبا) صنعه حسن السندي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٣٠ م .
36. ديوان عبيد بن الأبرص : تحقيق د. حسين نصار ، ط 1 ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة .
37. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الأكوسي ، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ هـ) : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٥ م .
٣٨. شرح الكوكب المنير ، ابن النجار ، محمد بن أحمد الفيومي (ت ٩٧٢ هـ) ، تحقيق د. محمد الزحيلي ، ود . زينة حماد ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩١ م .
٣٩. شرح صحيح مسلم ، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط ١٤٠٧١ هـ .

- ٤٠ . الصحاح : للجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .
- ٤١ . الصناعتين : لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوي وزميله ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- ٤٢ . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي العلوي (ت ٧٤٩هـ) : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٠ م .
- 43 . عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ضمن الجزء الرابع من شروح التلخيص ، ط 2 ، السعادة ، مصر ، 1343 هـ .
- 44 . غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٣٨٨هـ) . تحقيق عبد الكريم الغرباوي ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٢ م ، خرج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبي .
- 45 . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) : المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة .
- ٤٦ . الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٨٥٢هـ) دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- 47 . الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي . محمد الحسن علي الأمين ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، 1980 م .
- ٤٨ . الكناية والتعريض ، الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، تحقيق : د . عائشة حسين فريد . دار قباء للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٨ م
- ٤٩ . لسان العرب : ابن منظور الإفريقي ، أبو الفضل جمال الدين بن محمد (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، ط ٣ ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ٥٠ . مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ) مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- 51 . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد ابن الأثير (ت 637هـ) : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ، صيدا ، 1990 م .

52. مفتاح العلوم : السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت 626هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1983م .
53. المنتخب من كنايات الأدباء ، للقاضي أحمد بن محمد الجرجاني (ت ٤٨٢هـ) ويليه : الكناية والتعريض : للثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ) _ ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . ٩٨٤م .
54. المحرر الوجيز في الكتاب العزيز : لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 546هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، ، بيروت . ط 1، 1993م .
55. مستويات الخطاب البلاغي في سورة البقرة ، عبير محمد فايز مسعد . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح ، فلسطين المحتلة ، 2001م .
56. المعجم الوسيط، ط 4، 2004م. مكتبة الشروق، إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة
57. نقد الشعر: قدامة بن جعفر(ت 337) تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ط 2.
58. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر التميمي (ت 606هـ) تحقيق د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1985م .
59. النهاية في فن الكناية ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ) تحقيق موفق فوزي جبر ، ط ١، دار الحكمة ، دمشق ، ١٩٩٤م

دوريات محكمة :

- 1- مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مجلد 19 ، عدد 6 ، سنة 2004م
، بحث : الكناية وقواعدها الفقهية ، د. أحمد ياسين القرالة .
- 2- مجلة جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، العدد السابع ، محرم 1433هـ، بحث الكناية في كشف الزمخشري ، د. هند بنت جميل

